



Bibliotheca Alexandrina

بسم الله الرحمن الرحيم

آراء الشيخ الشعراوي في حرب الخليج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«فَبَدَلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ
فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ
بِمَا كَانُوا يَفْسَقُونَ»

صدق الله العظيم
(سورة البقرة - ٥٩)

آراء الشيخ الشعراوي في حرب الخليج

آراء
الشيخ الشعراوي
في حرب الخليج

طبعة أولى

١٤١١ - ١٩٩١

الناشر



الوکیل فی مصر

الدار المصرية للنشر والاعلام



القاهرة - ص ب - ١٢٩ - هيلينوبوليس

ت ٢٦١٥٧٤٤ - فاكس ٢٦١٥٧٤٤ (٢٠٢)

آراء الشيخ الشعراوي في حرب الخليج



آراء
الشيخ الشعراوي
في حرب الخليج

آراء الشيخ الشعراوي في حرب الخليج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

* الشِّيْخُ الْإِمَامُ دَاعِيُّ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ مُتَوَّلُ الشُّعَارَوِيُّ هُوَ
غَنِيٌّ عَنْ كُلِّ تَعْرِيفٍ وَيَصُعبُ أَنْ تَقْدِمَهُ بِكَلِمَاتٍ مُكْتَرِبةٍ، فَكَثِيرًا
مَا تَنَاهَلْنَا عَلَى مَائِدَةِ الشَّهْيَةِ، الَّتِي اجْتَذَبَ إِلَيْهَا بِسُحْرٍ يَبَاهُ أَرْوَاحَنَا
وَقُلُوبَنَا، أَحْلَى الْعِبَرِ بِتَقْرِيرِهِ لِلأَفْهَامِ النَّاَلِيَّةِ، وَيُسِيرُ وَفْكُ طَلاَسَمِ
وَأَلْغَازِ شَوَارِدِ وَمَتَطَرَّفَاتِ النُّفُوسِ. فَجَلَّ لَنَا نَقَاطِّاً هَامَةً وَمُتَعَدِّدةً
وَسَهَّلَ أَمَانَنَا طَرِيقَ الدُّعَوَةِ دُونَ عَثَرَاتِ الْجَهَالَةِ وَالْتَّرَدِيِّ.

لَقَدْ مَنَحَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْقَدِيرُ مُوهَبَةً وَحِكْمَةً أَيْضًا
وَبَيَانَ لِلنَّاسِ فِي بِسَاطَةٍ وَسَلَاسَةٍ فَانْطَلَقَ إِلَى غَابَةِ الشَّرِيفَةِ فِي أَمَانٍ
وَنِقْةً وَنِيقْنَ.

الناشر

آراء الشيخ الشعراوي في حرب الخليج

تقديم

ارتبطة حاجة الإنسان - منذ فجر البشرية - بالضروريات الحتمية التي تحفظ حياته ارتباطاً وثيقاً.. وهذا الارتباط الوثيق قد يبدو نسبياً أو متفاوتاً إلا أنه في النهاية هو الارتباط اللزومي الذي لا ينفك أبداً.

فإذا كانت حاجة الإنسان إلى الهواء تمثل أولوية عن حاجته إلى الماء، وحاجته إلى الماء قبل حاجته إلى الطعام، وحاجته إلى الطعام تشكل أهمية أكثر من حاجته إلى التزاوج وبقاء النوع إلا أنها جميرا - ومع هذا التفاوت - ضروريات حتمية لا تنهض الحياة الإنسانية ولا يتحقق لها الاستمرار والدؤام إلا بها جميرا.

بهذه الضروريات الحتمية تبقى الحياة الإنسانية ما بقيت، ويتتوفر لها الاستمرار ما يستمرت، لكنها لن تكون قادرة على أداء وظيفتها التي أرادها لها الحق – سبحانه وتعالى – : في أن تكون جديرة بخلافته في الأرض بهذه الضروريات الحتمية وحدها، بل لابد من عون إلهي يعينها على أداء هذه الوظيفة الأداء الأمثل الذي ينسجم ويتواافق مع الروح الإلهي انسجاماً تماماً وتوافقاً مموداً.

هذا العون الإلهي ضروري للإنسان أيضا ضرورة الحاجة الحتمية.. ولقد هبط هذا العون على الإنسانية في صورة أديان سماوية توافر هبوطها وتزامن مع حاجة الإنسانية في كل مكان وزمان – خلافا للدين الإسلامي – الذي أني نبراسا للإنسانية جموعه دونما تحديد للزمان أو المكان.

هذه الأديان السماوية – التي تمثل العون الإلهي – كانت ضرورة حتمية أيضاً، إذ لا معنى ولا قيمة ولا دور لإنسان خلق ليأكل ويشرب ويتراءج.. إنسان لا دور له ولا رسالة، ولن يمثل وجوده شيئاً أكثر من وجود الحيوانات الأخرى.

وإذا كانت الإنسانية – خلافاً لغيرها من الحيوانات الأخرى – يُناظر بها رسالة سامية وهي خلافة الله في الأرض، والارتفاع بالمكان – الأرض – وتطهيره ليتوافق مع الروح الإلهي فإن الأديان السماوية بما تحمله من تعاليم إلهية وتكاليف دينية تعين الإنسانية على أداء هذه الرسالة تنزلاً منزلاً الضرورة الحتمية التي لا تستقيم حياة الإنسان ولا تصلح إلا بها.

قال الله تعالى : «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً
قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيُسْفِكُ الدَّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ
وَنَقْدِسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» سورة البقرة - الآية ٢٠.

إذن الإنسان خليفة الله في الأرض بمنطق هذه الآية، وخلقه وليجاده من
عدم لحكمة إلهية وغاية ربانية : ألا وهي خلافة الله في الأرض.

ألا ما أشرفها من حكمة ! وما أسموها من غاية !

والسؤال الآن :

كيف يكون هذا الإنسان على مستوى هذه الحكمة ؟

كيف يرتفع إلى هذه المنزلة العليا التي كرمه الله بها ؟

كيف يتسامي بما دبره إلى سمو هذه الغاية.

كيف يتأتي له كل هذا وهو من هو ؟ كائن - خلافاً لغيره من الكائنات الأخرى - تصرخ داخله شتى أنواع النوازع، وتحتدم في أعماقه مختلف الرغبات المتباعدة.. يتقاسمها الخير والشر، ويتنازعه العدوان والسلم، يدفعه الكره ويرده الحب.. إنسان هذا شأنه كيف يتأتي له حمل هذه الأمانة ؟ وكيف يتأتي له الانضباط بما تستوجهه من تبعات : عمل والتزام، وتسامح وارتقاء، وكبح لنوازع وشهوات، وترويض لغرائز وطبع.. كيف ؟ !

ألا ما أسعده ! وما أشقاء ! على حد سواء.

قال الله تعالى :

«إِنَّا عَرَضْنَا الْأُمَانَةَ عَلَيْ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجَبَالِ فَأَيُّنَّ أَنْ يَحْمِلُنَّهَا
وَأَشْفَقُنَّ مِنْهَا وَحْمَلَهَا إِنَّهُ كَانَ ظَلَمًا جَهُولًا» سورة الأحزاب - الآية 72.

إذن لابد - كما قلنا - من عون إلهي للإنسان، في منزلة الضرورة الحتمية، لستقييم حياته وتمضي رخاء، وإلا فلن تسلس له الحياة، ولن يهنا له فيها عيش، أو يصفو له فيها مزاج، بل تستحيل جحima وعداها لا يطاق، وسيكون هذا كافيا ليدمر نفسه بنفسه؛ فيصدق عليه ما يصدق على غيره من الفناء والانقراض؛ بل قد يستفحـل هذا التدمير فـيأتي على غيره من الكائنات الحية الأخرى، وبهذا يفوت المستهدف من خلقه وإيجاده.

لكن الله بالغ أمره، وسيكون هذا الإنسان خليفة الله في الأرض كما قضت مشيئة الله جل وعلا. وسيتم هذا الإنسان رسالته، كما قدر له الله سلفاً. وإذا كان في حاجة إلى العون الإلهي ك حاجته إلى الضروريات الأخرى فهذا العون مائل وحاضر دوماً في صورة الأديان السماوية، ديناً بعد دين، إلى أن تُرَجَّع بخير الأديان جميعاً وختامها : الدين الإسلامي الحنيف : «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُم دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُم بِالإِسْلَامِ دِينَكُمْ».

لماذا كان هذا الدين - دون سائر الأديان - تتمة لنعمة الله ؟ ولماذا ارتضاه الله ديناً لعباده ؟ ولماذا هو الدين القادر على تعضيد الإنسان وتمكينه من حمل الأمانة التي نصطت به ؟ ولماذا يمثل هذا الدين الآن طرق النجاة للإنسانية كلها في

زمن التيه والحريرة والضياع ؟ ولماذا يجد فيه أعداؤه كل يوم جميع مقومات الاعتدال ؟ ولماذا يتعجبون من مذه وانتشاره رغم كيدهم له والدس عليه ؟

ومحاولة الإجابة عن هذه التساؤلات كلها أمر شاق يتطلب معايشة حقة لهذا الدين استهدافاً للوقوف على إمكانياته كدين قويم فيه صلاح أمر الدنيا، ليس للإنسان - خليقه الله - وحده وإنما لكل كائن على هذه الأرض حيا كان أو جماداً، ويخطيء من يظن أو يعتقد أن ليس للجماد صلاحٌ أمر، ناسياً أو جاهلاً أن الجماد - كغيره - له دوره في الحياة، وأن هذا الدور قد يوجه لخير البشرية فيكون في هذا صلاح لأمره، وقد يوجه للإضرار بها فيكون في هذا فساد لأمره.

وقبل أن نعرض لكل ما وفره هذا الدين من احتياجات للإنسان يجب أن نحدد ما هي هذه الحاجات التي يجب أن تتحقق لهذا الإنسان ليتمكن بأريحية

تامة من أداء رسالته؟ وهل وفرها له هذا الدين؟

إن أول حاجة يهفو الإنسان إلى سدها هي الإيمان المطلق بوجود قوة عليا ذات قدرة مطلقة يدين لها ويجد راحة نفسه وسکينة فؤاده بالعبودية لها والالتجاء لها والالتجاء إليها، لأنّا من خوف أو منتصرا من ظلم أو مستعينا على قهر.. قوة تملك ناصية الأمر كله؛ تمنع الشواب وتلحق العقاب، قوة لا تُغفل ولا تُغْفَل، هذه القوة واحدة لا تتعدد فلا يضيع حقه بينها.

وهذه الحاجة سدها الإسلام بالدعوة إلى الإيمان المطلق واليقين الثابت الذي لا يتزعزع بوجود إله واحد أحد لا شريك له وليس كمثله شيء، قادر فينصر المظلوم ويعاقب الظالم، الله حتمي الوجود، الله عادل فلا يضيع حق الخلق،

إله أخير بوجود دار أخرى، أعد فيها جنة ونعيماً لمن أطاع وتواافق مع نهج الله،
وبحيماً وشقاءً لمن خرج عن هذا المنهج، وبذلك تنتفي عبادة الوجود، ويصبح
للوجود - بأكمله - حكمة ورسالة.

هذا الإيمان - كحاجة ملحة وكضرورة حتمية - يمكن أن يملأ نفس
الإنسان بالقوة والعزز والأمن النفسي العميق، وبذلك أي خوف يمكن أن يطرأ
علي نفسه؛ فلا يهاب عظيماً ولا يت怯ع عن نصرة مظلوم ولا يتخلي عن حق
أو يؤازر باطلًا عن رهبة أو خوف؛ فيكون - بهذا - صادقاً مع نفسه ومع ربه،
ويكون قادراً - وبالتالي - على حمل الأمانة.

الإيمان بوجود إله واحد أحد هو الحاجة الحتمية الأولى للإنسان – بعد حاجاته الثلاث الملحّة – وبدونها يواجه الحياة بلا زاد أو متعة ويمضي في عبابها بلا عُذّة أو عتاد، كزورق بلا ريح مواتية أو شراع قوي فيفضل وبهلك.

الدين الإسلامي – إذن – ضرورة حتمية للإنسان الذي يطلب النجاة وتعاليمه مهما تعددت حتمية أيضاً، فهي بمثابة الجزء من الكل.

يعمد الإسلام بعد دعوة الإنسان إلى الإيمان المطلق بالله إلى المواجهة تدريجياً بين النوازع المتناقضة داخل الإنسان؛ فيحاول أن يروض من شرور النفس لصالح خيرها، فيضعف من الأثرة لصالح الإيثار ومن حب الأخذ لصالح العطاء ومن القسوة لصالح الرحمة ومن البغضاء لصالح الحب ومن الغدر لصالح الوفاء ومن الانتقام لصالح العفو... إلى آخر النوازع والطبياع البشرية.

ويأتي قول الله تعالى : «خُذِ الْعُفُو وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ» سورة الأعراف - الآية ١٩٩ - تأييداً للنهي، لأن حب العفو والأخذ به من شأنه - إذا ساد كقيمه نبيلة - أن يعمق من الروابط الإنسانية ويقوى من مشاعر الحب والإيثار والتعاون الجماعي ويقطع الطريق على كل المنازعات والشقاق وانقسام الجماعة والأمر بالعرف» قيمة ثانية يمكن أن تقوى من الولاء لكل ما اصطلح عليه الناس، فالعرف كل ما تعارف الناس عليه من جميل فاتبعوه ومن قبيح فاجتنبوا، ومن فطرة الطبيعة الإنسانية التي فطرها الله على أحسن صورة وأكمل مثال حب الحق والخير والجمال وكل أنماط السلوك الحسنة المألوفة، واستنكار ورفض أي مسلك أو نهج فيه مخاوز للمألوف والمستحسن «وأعرض عن الجاهلين» أمر بمقاطعة كل من يخالف العرف الجميل السائد فيأتي بأفعال

الجاهلية من طيش وتهور وانفاس وحُمق دون تبصر أو رؤية.

هذه ثلاثة من الهدایات الموجّهة تقود الإنسان في مسيرته نحو غايتها المثلثيّة وتعطى أمثلة للقيم التي تتوافق مع روح الإسلام السمحّة.

لقد قدم الإسلام الحلول لكثير من المشكلات الأخلاقية والسلوكية والمعاملات المالية وفروع العبادات والأحكام الشرعية شخصية وغير شخصية وكلها تتسم بالسماحة والتيسير ومراعاة الأعذار وتقديرها. «يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً» سورة النساء - الآية ١٧٤.

ما من حكم شرعي ديني أو قضية أو مشكلة تلامس دنيا الإنسان وحياته إلا وللإسلام في كل ذلك معين لا ينضب، وله هدي وإرشاد.

لقد كان الإسلام - وما زال - مشعل هداية عن طريق الإنسانية أضاء لها طريقها فأخرجها من الظلمات إلى النور وأخذ بيدها إلى الحق وإلى الرشاد، وكان نقطة تحول في تاريخها الطويل، وانتقل بها من حياة الإثم والفساد والضلالة إلى حياة الخير والحق والرشاد وأحدث في العالم كله من القيم والمفاهيم والمعايير ما صعد بالإنسانية وارتقي بها من دركها الأسفلي إلى أبهى صورها وأسمى كمالاتها.

إذن الله لم يترك الإنسانية في خطوها الوليد دون مرشد أو دليل، بل أمدتها بهذا الدين السمح الذي ينكر التصلب ويرفض الجمود ويراعي الضعف البشري ويتفهم الأعذار وقدر الدوافع؛ لقد أحل طيّات وحرّم خيّاث، ثم عاد فأباح هذه الخيّاث للمضطرب، لأن الضرورات تبيح المحظورات، وتقدر الضرورة بقدرها،

وإن هذا الدين مبني على اليسر ورفع الحرج، قائم على الترخيص؛ فالله لا يكلف نفساً إلا وسعها ولا يأمر عباده إلا بما يطيقون. وإن إلقاء النفس إلى التهلكة حرام لا يجوز وأن الأشياء ينبغي أن تطلب بأسبابها ووسائلها المؤدية إليها، وأن للإنسان أن يطلب حظه من الدنيا، وأن من حقه إشاع غريرة التملك (الملكية الخاصة) على ألا ينسى حق الله في ماله، وأن الإيمان والصبر سببان لنصرة القلة العادلة على الكثرة الباغية وأن أكل أموال الناس بالباطل حرام، وأنه لا فساد ولا إفساد ولا تخريب ولا تدمير «لا ضرر ولا ضرار».

لقد حدد الإسلام الطريق ووضع المعلم فليس قمَّ عنده بعد الآن.
الحلال بين والحرام بين، ولكل مسلك طريق. فمن سلك طريق الحلال فقد نجا، ومن تنكّب طريق الحرام فقد هلك.

والإسلام عندما يحدد المحتظورات وينهي عنها لا يغفي من وراء هذا إلا صالح الإنسانية وخبيثها، فهو ينهي عن القتل حفاظاً على النفس ويُحرِّم الرَّدَة حماقة على الدين، ويُحرِّم الخمر حماقة على العقل وينهي عن السرقة حفاظاً على المال، وعن الزنا حفاظاً عن العرض.. أليس في الحماقة على هذا كله تحصين للإنسانية من السقوط والانهيار.

ماذا حدث عندما تمردت الإنسانية على قوانين الله واستبدلتها بقوانين وضعية ظناً منها أن في هذا خيراً..؟ لقد اكتفت بالجنس - خلافاً لحد الله - عقاباً للزاني فماذا جنت غير شيوخ الفاحشة بين الناس وانتشار الفسق والفساد وهو ان الأعراض وكثرة الأمراض وانخلاط الأنساب؟

الإسلام يدعو الإنسان إلى الرحمة والتراحم والعفو والتسامح والصلاح
والإصلاح والإيثار لا الأثرة، ونصرة الضعيف ومقاومة الظالم كما ينهي عن
البغى والعدوان والفساد والإفساد..

فهل اغتصاب الكويت أمر يقره الإسلام ؟

هل ترويع الآمنين من تعاليم الإسلام ؟

هل سلب الأموال واغتصاب الحقوق من الدين في شيء ؟

هل هتك الأعراض واغتصاب العفيفات انتصار للإسلام ؟

هل الغدر من شيم آل البيت ؟

هل قتل الأطفال والنساء والشيوخ من روح الإسلام؟

لقد انكشف الزيف وأبانت الحقيقة عن نفسها، ووقف أصحابها عراة في ساحة الدين يصطلون بنار الخزي والهوان، ويواجهون بأشنع الجرائم والتهم، ولن ينجلي هذا الليل إلا عن صبح ولن تسفر هذه العاصفة إلا عن ثأر، فالله يمهد للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته وقد دارت الدائرة على الفعلة الباغية وضاقت عليها الأرض بما راحت فوعيد الله يحدق بها وسوء المنقلب يتطرقها: «وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون» سورة الشراء - الآية ٢٢٧.

إن كل ما افترَّ من جرائم وأثام على أرض الكويت المسلمة المسالمة يتنافي مع روح الإسلام ويتعارض تعارضًا تاماً مع تعاليمه السمححة؛ فقتل الأبرياء واغتصاب العراثر وتدمير البيئة وإيادة الكائنات الحية التي سخرها الله للإنسانية من

الأعمال البشعة التي لا يقرها عُرف أو ضمير، وهي فساد وإفساد في الأرض من فعل شرذمة تلفعت بعبادة الإسلام فأساءت إلى الإسلام وإلى المسلمين.

ولن تنسى الإنسانية بسهولة رؤيتها لآلاف الطيور المائة وهي تموت اختناقًا بالزيت الأسود، متطلعة إلى السماء وكأنها تسأله في صمت وحيرة : ماذا يجري يا الله ؟ قال الله تعالى « ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس » سورة الروم – الآية ٤١ .

قد يقول قائل : ما ذنب الجيش العراقي المسلم وهو المنصاع قهراً تحت التهديد بالقتل. هذا تساؤل مردد فكما خرج هذا الجيش شاهراً سلاحه معرضاً نفسه للموت في سبيل باطل ؟ أليس من باب أولى أن يعاود الخروج الآن في

سييل حق : وهو القضاء على الحاكم الظالم وشذمته فيكون له نُبل القصد
وشرف المسعى ؟

إن البحث عن تبريرات أو أعذار لن ينال من القناعة بانفراد الجيش العراقي
المسلح بشعب الكويت الأعزل - وقد خلّيَ بينهما - فاعمل فيه القتل والتشريد
وعاث في الأرض فساداً مدمراً ومخرباً، وانقلب على الآمنين عروياً واغتصاباً
وسطواً.

ألم يكن في إمكان هذا الجيش أن يتوقف بعد أن تمت له الغلبة وتحققت
له السيطرة دون أن يتمادي في غيه ؟ ألم يكن في مقدوره أن يقف عند حد
احتلال الأرض والإمساك بمقدراتها دون أن يسلّم لعابه على المحرمات فيغضّ
الأبكار وبهتك الأعراض. ويقرّ البطون ويقتل الأجيال .. كان في مقدوره هذا

وأكثر، لكنه استحال إلى جيش تترى لا يُراعي حرمه الدين أو عقيدة أو لشيخ أو طفل أو امرأة.

لقد مارس هذا الجيش النذالة والخسنة والوضاعة في الوقت الذي تتغنى فيه أبواق قيادته بأمجاده وبطولته وشرفه وهي القيادة الغارقة في مستنقع السقوط والرذيلة والفحش.

من الحقائق المؤكدة والواقع الملموس أنه قد حيل بين الإسلام وبين مجتمعه فلم يتفاعل كلاهما بالآخر، وظل الإسلام معطلاً عن أداء رسالته، وبالتالي ظلت المجتمعات الإسلامية التي يظلها تعاليمه محرومة من هديه وعطياته وليس ثمة علاقة بين هذه المجتمعات وبين الإسلام الآن سوى التمسك بالإيمان بوحدانية الله ورسالة نبيه تاركة تعاليمه وهديه دون استفادة لفرصة أفضل.

وللأسف فإن كثير من الساسة الإسلاميين هم الذين عملوا على الحيلولة
بين الإسلام وتفاعلاته داخل مجتمعاتهم الإسلامية – ربما خوفاً من صحوة
إسلامية تعرضهم للمساءلة أو تضعهم تحت مجهر لا يرغبونه.

. والذى يعود بأزمة الخليج إلى أسبابها الحقيقية يجد أنها ثمرة ونتيجة
لتعطيل الإسلام عن أداء دوره في بلد يُقال إنه مسلم هو العراق.

لقد حرص الساسة في هذا البلد ألا يُمكّنوا للإسلام فيه ولا يتبيّحوا له
فرصة ما لتنشر تعاليمه فتقطع عليهم طرق الفساد والإفساد والفسق والانحلال
ونتحول بينهم وبين ما يشتهون.

إن قيم الإسلام من حلم وعفو وتسامح وحسن جوار ووفاء بالعهد

والموالين ورحمة وتراحم وشهامة ونجدة ورجولة ومروءة ونجدة للمكروب وصيانته للأعراض وصدق وأمانة كانت كفيلة - لو أتيح للإسلام أن يتفاعل مع مجتمع العراق الإسلامي - أن توقف هذه المجزرة قبل أن تبدأ، بل لم تكن لتبدأ أبداً، أو تطل برأسها.

فإذا كان الإسلام حاجة ملحة وضرورة حتمية لخير مجتمعاته مثل الماء والهواء فإن الواجب على المسلمين أن يُمْكِنوا له وأن يسمح الساسة منهم بتفاعل الإسلام مع مجتمعاتهم؛ فإن التربية الإسلامية والبناء الإسلامي القوي للنفس البشرية كفيل بأن يُنشئَ أجيالاً تلو أجيالاً مسلحة بالقيم النبيلة والمثل العليا، وأن يحقق مجتمعات إسلامية لا تعرف التطرف أو العنف أو الجريمة أو الانحراف.

وأعداء الإسلام يدركون هذا جيداً ويعرفون قبل غيرهم ما يمكن أن يترتب لخللٍ بين هذا الدين وبين مجتمعاته الإسلامية ولم يحل بيته وبينها.

إنهم يعرفون - قبل غيرهم - ما لهذا الدين من سحر في القلوب ومن سطوة على النفوس، ومن قدرة وفاعلية على البناء النفسي وخلق الرجال ولهذا يُدبرون ما يدبرون ويحيكون ما يحيكون.

إنه المخطط العلماني لخارية الإسلام والقضاء عليه عن طريق الإباحية والانحلال تحت دعاوى براعة من الحداثة مقابل الأصالة والمعاصرة مقابل السلفية، ناسين أو متناسين لا تعارض بين الحداثة والأصالة وبين المعاصرة والسلفية وأن الإسلام يدعو إلى إعمال الفكر والأخذ بأسباب الحياة والتطور ويرفض الثبات والجمود.

إن تجنيد الملايين من الكتاب والمفكرين وعقد المؤتمرات وإقامة المهرجانات بما يدخلها من فسق وإنحلال وفجور لمناقشة قضايا الحداثة والمعاصرة والعلمانية والأيديولوجيات المشبوهة وإقامة نوع من الولاء بين الشباب وبينها ما هو إلا دعوة سافرة لإعطاء الظاهر للقيم الإسلامية والتوجه كليّة إلى هذه الأفكار المشبوهة والنظريات الوافية حتى يأتي الوقت لفصل الدين عن الدولة.

مخططات غربية وأصابع خفية وذم خربة.. أفلام مأجورة واستهلاك شباب مضلل تحت دعاوى زائفه وشعارات براقة ولافتات خادعة. والويل لل المسلمين لو غفلوا أو تغافلوا، لو صالحوا أو هادنوا، فلن يكون الخطر بعيداً، وستتكالب عليهم الأمم كما تتكالب الأكلة إلى قصتها؛ مصداقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم

ليس من الإثم في شيء مواجهة هذه المخططات المشبوهة بمخاطبات مضادة، بل يكون من الفطنة وحسن التصرف احتضان هذا المد الديني لدى الشباب المسلم وترويجه بالتبصير العلمي والإقناع ليكون جبهة متمسكة في مواجهة هذه المؤامرات الشرسة التي تخطط للقضاء على الإسلام أو محاصره.

إن ما حدث على الساحة الإسلامية العربية – إبان أزمة الخليج – ليؤكد غفلة المسلمين، وأن هناك عقولاً تفكّر لهم وترسم سياساتهم وتوجه مستقبلهم، بل أن هناك ما هو أبشع، إذ تُستخدم عقول بعض ساستهم (كصوّيات الزراعة) لغرس أفكار معينة ورعايتها حتى تؤتي ثمارها فتقود إلى موقف مستهدفة وسياسات منشودة بواسطتها يتم تآكل المسلمين أو إضعافهم.

قليل من كثير ذلك الذي يُراد بالإسلام، فالحرب اللبنانية وحرب العراق ولبنان وحرب الخليج وما يحدث في أفريقيا وأسيا من تبديل ديانة الأطفال المسلمين إلى المسيحية تحت ضغوط العوز والفاقة ما هو إلا خطوات على طريق طويل لضرب الإسلام.

أيمكن أن يصل الأمر إلى هذا الحد دون أن يتحرك المسلمون لمواجهة هذا الخطر أو درجه على الأقل ؟ إن الأزمة تكمن في فتور الهمم وضعف العزائم وغياب الغيرة الإسلامية، بل قل استفحال اللامبالاة والانشغال بقضايا أخرى أهم في نظر البعض من الانشغال بقضايا الإسلام أو الخطر المحدق به.

إن من ينظر إلى أزمة الخليج من منظور سياسي أو اقتصادي يغفل زاوية هامة للغاية، ألا وهي الزاوية الدينية.. فلم يكن الدافع السياسي أو الاقتصادي دافعا

قوياً لنسج خيوط هذه المؤامرة بقدر ما كان الصراع الديني ألا يحق لنا أن نتساءل . لماذا تغاضت الدول الأجنبية طيلة هذه السنوات عن تكديس العراق لتراثه الحرية ؟ ولماذا ساندته عندما تصدى للتيار الإسلامي داخل العراق وخارجه ؟ أليس في سبيل القضاء على الثورة الإسلامية الوليدة وإضعافها أو العد من إنتشارها على الأقل . أليس في الإيعاز إلى دول الخليج والقاء الروع في نفوسها من الخطر القريب القادم قطع للوشائج الإسلامية وبث هاجس الشك وفقدان الشقة بينها .

مواقف مريبة وسياسات مشبوهة وتحركات محسوبة لا تُفصح عن نفسها أو تبيان . وشنان بين المسرح به والمشود .. ومن حسن حظ المتأمرين أن مسلمي اليوم

حسنوا النية طيبو السريرة، تخدعهم المظاهر وتضلّلهم الأكاذيب فلا يفطنون أن
السم في العسل وأن الخنجر في الظهر وأن الحية الرقطاء ناعمة الملمس.

إن الفرصة مواتية الآن لإحداث صحوة إسلامية على ضوء الدروس
المستفادة من أزمة الخليج، وهي دروس مفيدة للغاية لمن يحسن استخلاص العبرة
واستنباط العلة واكتشاف خفايا الأمور.

الصوت الإسلامي جدير بأن يُسمع وأن يُصنف إلى وأن يُلتف حوله، فهو
الصوت الباقى بعد أن خفت الأصوات، وهو الصوت الذي يلقى في روع أعداء
الإسلام بهدبه المدوى : «أنا أقوىء بهذا الدين وأنه باق إلى أن يرث الله الأرض
ومن عليها» .

يجب ألا تدع أزمة الخليج تمضي قبل أن نعيد قراءة الملف الإسلامي من جديد، وأن نضع ملاحظات هامة على هرماشه بعد أن أثبتت هذه الأزمة عن كثير من النوايا المبيتة وكشف النقاب عما يجري خلف الكواليس؛ فالمؤامرة وإن كانت محكمة، والمستهدف وإن كان خفيًا فلا بد لكل مؤامرة مهما أحكمت خيوطها من ثغرة تفرض دعائيمها وتضعف من إحكامها. «وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكِرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ» . سورة الانفال - الآية .٣٠

(محمد متولى الشعراوى)

الفصل الأول

قضية الإنسان المؤمن على حماية كلمة الحق

هذه هي عظمة التشريع حين يسامي،
فلا يعزل المنحرف وحده، إنما يعزل
عنه المجتمع، وهو حر في هذا المجتمع

محمد متولى الشعراوى

نناوش في هذا الفصل مجموعة من الجوانب والأبعاد المتعلقة بوضبه القوه في الإسلام.. المراصفات الواجب توافرها في الإنسان المؤمن علي حماية كلمة الحق .. وأهمية أن يكون القتال في سبيل الله سبحانه وتعالي خالصاً لوجه الله .. ووظيفة التربية الإيمانية في تحقيق مجتمع الكفاية والأمن .. وأهمية الاستعداد لمواجهة الاعتداء الخارجي .. والقدرة الروحية في الإسلام والقدرة المادية.

لم يشأ الله سبحانه وتعالي أن يتصرّف الإسلام من مركز السيادة ومنابع القوة، فانتصر في المدينة وانطلق، حتى يعلم الناس جميعاً وتردد الدنيا كلها أن العصبية محمد لم تخلق الإيمان بمحمد، ولكن الإيمان بمحمد هو الذي خلق العصبية محمد.

إذن فالعصبية تبع للإيمان، وليس الإيمان تبعاً للعصبية، وبذلك انطلق مبدأ الإسلام انطلاقاً مدوياً في الكون ليضع للناس مبادئ العدل والحق والخير والجمال.

ونحن حين نستقرر في أوضاع الناس في الأرض نجد الناس لا يخرجون عن

لتينين:

- لون عاقل تقنعه الحجة ويقمعه البرهان.

- لون جاهل يتمادي في جهالته نكراناً للإقناع وعدم انصياع للحجج.

«وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنُتْهَا أَنفُسُهُمْ ظَلَمًا وَعَلَوْا» سورة النمل - الآية ١٤

فإذا أراد الله لمبدأ من مبادئ الحق أن يسرد، فلا بد أن تكون للحق قوة تقنع

بالبرهان وقوة تردع بالستان.

ولكن.. من الذي يؤتمن علي أن يحمل السيف ليحمي كلمة الحق ؟ .. من الذي

يؤتمن علي أن يحمل السيف لحماية كلمة الحق ؟

الإجابة.. لا يؤمن إلا إنسان له مواصفات خاصة، وهذه المواصفات الخاصة لابد وأن تكون نميّت فيه في مدرسة النبوة، وعلى يد الرسالة، عقيدة صلبة قوية لا تلين، وعهد أيماني يصلق الإنسان فيه، ورباط في سبيل الله واستهانة بكل ما في الدنيا من معنٍ ونعمٍ وجاه رسلطان لتصير كلمة الحق.

ومن القادر على إيجاد هذا اللون من يحملون السيف ليحموا العقيدة وليحموا الحق؟ ومن الذي يضمن لنا أن من يحمل السيف لا تطغى به قوته فيحرف بالقوة إلى حيث لا تردد القوة؟

لابد أن يرمي هذا المرء على عين النبوة، وحين يرمي على عين النبوة يكون إنساناً أميناً على أن يحمل السيف ليستعمله في موضعه الصدق.. وليس استعماله في موضعه الحق.

ولذا نظرنا إلى تاريخ الرسلات في الأرض - منذ رحم الله الخلق بإرسال الرسل - وجدنا موكب الرسلات لا يتعدى أن يأتي الرسول بمنهج ربه مؤيداً بالمعجزة التي تؤكد صدقه في التبليغ عن الله، وليس عليه إلا ذلك، فليس عليه أن يتدخل ليحمل الناس على أن يقولوا كلمة الحق، وليس له أن يتدخل ليفرض قوة على قوة، ولكن السماء هي التي تتدخل، فحين ياج الباطل في عناده وينصرف الناس عن الحق، هنا تتدخل السماء لتأديب هؤلاء، «فَكُلَا أَخْذَنَا بِذَنْبِهِ» سورة العنكبوت - الآية ٤٠ - لذلك يجد قوماً أغرقهم الطوفان، وينجد قوماً خسفت بهم الأرض، وينجد قوماً أهلكوا بريح صرصر عاتيه.

هذا هو تأديب السماء، ولم يكن تدخلاً من جانب الرسل أو أتباع الرسل ليحموا به العقيدة بغير الحجة والبرهان والمنطق، لأن السماء تحملت عنهم ذلك.. لأن الإنسانية لم تكن قد بلغت رسالتها، فالآديان تتطور، ديانة محدودة الزمان، وديانة محدودة المكان، تأتي لتصحح جزئياتها، فإذا استعدت الأرض كلها وتصححت جزئياتها يمكن لدعوة عامة أن تجتيء فتشمل الدنيا كلها زماناً ومكاناً وتشريعاً مستوعباً لكل قضايا الحياة.

القتال في سبيل الله لابد أن يكون خالصاً لوجه الله :

يدعى البعض أحياناً أنهم يقاتلون في سبيل الله، والقتال في سبيل الله لابد أن يكون خالصاً لوجه الله سبحانه وتعالى، وليس لهدف آخر تبغي الفئة المقاتلة تحقيقه كالحفظ على الأرض أو توزيع الثروات، أو غير ذلك من أهداف دنيوية يسعى الإنسان إلى تحقيقها.

لقد طلب بعض بني إسرائيل أن يقاتلا في سبيل الله، ولكن ذلك الطلب لم يكن خالصاً لوجه الله وإنما كان - كما يقولون - لأنهم أخرجوا من ديارهم وتركوا أبناءهم، ففي ذلك شبهة هي أن الحماسة للقتال لم تكن لله وحده، وإنما كانت للغيرة على الأرض وللغاية على الأبناء.

يضرب الله ذلك المثل فيقول :

«ألم تر إلى الملائكة من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم أبعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال لا تقاتلوا» سورة البقرة - الآية .. ٢٤٦

أي أنكم تطلبونه الآن، فإذا فرض عليكم وعرفتم أنه سيمسكن شيء من التصب والتعب، ربما تصلتم مع أنكم الطالبون..

«قالوا وما لا تقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا» سورة البقرة - الآية .. ٢٤٦

فاستجاب الله لهم وكتب عليهم القتال، فماذا كان الموقف ؟ كان الموقف أن تولوا إلا قليلاً منهم.

إذن فهم ساعة الطلب اللسانى، كانوا طالبين للقتال، فلما أصبح القتال حقيقة واقعة تولوا إلا قليلاً منهم.

هؤلاء القليلون، هل ثبتوا عند التجربة والاختبار والامتحان ؟ كلاماً، لما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم، وبعد ذلك أراد الله أن يختبر هذه العزائم، فهذه القلة، التي لم تقول جعلها الله أيضاً موضوع الاختبار.

يقول الحق : انه ابتلاهم بنهر «فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني» سورة البقرة - الآية ٢٤٩ . فلما ذهبوا إلى النهر هؤلاء الذين لم يقولوا عندما كتب القتال، شربوا منه إلا قليلاً، إذن فالقليل أخذ منه القليل.

وبعد ذلك، القليل الذي شرب، حينما واجه العدو قال : «لا طاقة لنا اليوم ببالوت وجندوه» سورة البقرة - الآية ٢٤٩ ..

«قال الذين يظلون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلت فئة كبيرة بإذن الله» سورة البقرة - الآية ٢٤٩ ..

التربية اليمانية ومجتمع الكفاية والأمن

هنا، نجد مصافي البطولة، وبجذب غرائب القوة والشهامة، لم يستمع الله لهم حين طلبوا القتال، فنبههم إلى أنه إن كتبه عليهم فسيتولون، وقد فعلوا فعلاء، تلك مصفاه.. وجاءت المصفاة الثانية بالابتلاء، ابتلاهم بنهر فشربوا إلا قليلاً.. وبعد ذلك واجهوا العدو، تلك مصفاة ثلاثة، ثبت قليل منهم.

إذن، فلا يمكن أن يعد للقتال إلا إنسان قد مر بمصاف متعددة، تصفى شرائب نفسه وبحور عزيمته، وجبن إرادته حتى لا يبقى لجند الحق إلا هؤلاء، أهل الصمود والمعدن القوى، والعقيدة الصلبة التي لا تلين أبداً.

لذلك من الإسلام بمراتب من الضعف حتى لا يثبت فيها إلا الأقواء الذين اضطهدوا في أبدانهم، واضطهدوا في أموالهم، واضطهدوا في أوطانهم، فمن ثبت مع هذه الشدة، فهو الذي يصلح لأن يحمل للإسلام سيفه، وهو الذي يصلح لأن يمثل قوة الإسلام.

إذن، فالإسلام إنما جاء - أولاً - في صورة يُتلى بها المؤمنون، «وليمحص الله الذين آمنوا» سورة آل عمران - الآية ١٤١ .. وإذا كنا ننظر إلى المراد من الكون للحق، نجد أن المراد من هذا الكون هو إيجاد الحياة الفاضلة والحياة المثالية.

ويظهر سؤال حول ماهية وعناصر الحياة الفاضلة أو الحياة المثالية والجواب .. هي إطعام من جوع «أي مجتمع الكفاية» .. وأمن من خوف «أي مجتمع الأمن والسلام» .. لذلك، حينما امتن الله علي قريش، بأنه أطعمها من جوع، ضمن لها بقاء الكعبة وكانت مصدراً اقتصادياً لحياة أبنائهما، حين تقد القبائل والناس فيرزقون منهم، وحين جعل لها من المهابة قدرًا يأمنون به في هجاراتهم إلى الشام واليمن.

قال تعالى «فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع * وأمنهم من خوف» سورة قريش الآية ٢، ٤ .. تلك هي مقومات الحياة، وهذه هي المقومات التي تعتبر الدعوة والشعار الذي ينادي به كل مصلح الآن، إذا نظرت إلى كل مصلح وجده يطلب مجتمع الكفاية والأمن.

ولكن.. أيحقق البشر للبشر مجتمع الكفاية والأمن ؟

لا يمكن ذلك دون الالتزام بشرعية الله.. لأن الشعارات لا تبني نظاماً، وإنما تبني الشعارات قوماً يستهيدون من هذه النظم، فإذا تمكنتوا من الإفادة منها، حملوا رب هذه النظم، وجوهر هذه النظم، فيزيد الحق - سبحانه وتعالى - أن يأتي برسالات السماء، لتشتت في الناس مجتمع الكفاية والأمن.

ومجتمع الكفاية الذي يوفر للناس مقومات حياتهم، ميادينه مختلفة ومهماته متعددة، تتحقق فيمن يبحث في الصحة ليضمن السلامة، وفيمن يبحث في الأرض ليستخرج منها الأقوات، وفيمن يبحث في المادة ليبتكر مرفهات الحياة ومبارات الرجود، ولكن هب أن كل ذلك وجد، وبعد ذلك وجدت شرارة في الكون أو وجدت الشرارة في ذات القوم، أو وجدت الشرارة من خارج القوم فسينقص ذلك عليهم مجتمع كفایتهم.

إذن فلابد من جهة أخرى تضمن التوازن، وتحقق الأمان في داخل الأمة، وتحقق لهم الأمان من مخاوف خارجها.

والأمان في داخل الأمة المؤمنة يتولاه الوالي بما يأخذ من يد الله من تشريع، يبين حدود الله، فمن تعدى هذه المحدود فكسرها، فهناك التحرير وهناك العقوبة، حين يجد ذلك، يجد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد تسامى في هذه المسألة تسامياً لم يتحقق لأي أمة، ولا لأي حضارة، ولا لأية مدينة.

لم ينشيء الرسول - صلى الله عليه وسلم - سجنًا ليؤدب فيه المنحرفين، وإنما أنشأ شيئاً آخر، وهو أن يُسجنَ الذي أجرم وهو حر في المجتمع فهو لا يسجن المجرم ولكن يسجن كل المجتمع عنه، يعيش بانطلاق حريته، ويعيش بين الناس وهو غريب عنهم، يتحكم في الناس ولا يتحكم في الفرد الواحد، فيقول للناس : اعزلوا هذا الذي انحرف عن مجتمعكم.

وحين يصدر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كلمة تعزل المنحرف عن المجتمع، يستمع المجتمع كله، لا مودة للمنحرف ولا ود لمنحرف ولا سلام لمنحرف ولا كلام مع منحرف، ويتسامي فيأتي إلى أهل ذلك المنحرف أي في بيته فيأمره هو إلا يقرب أهله.

هذه هي عظمة التشريع حين يتسامي، فلا يعزل المنحرف وحده،
إنما يعزل عنه المجتمع، وهو حر في ذلك المجتمع.

هذا كعب بن مالك وهلال بن أمية ومارأة بن الربيع، تخلعوا جمبيعاً عن غزوة تبوك، ولم يتخلفوا عن عذر، لأنهم كانت لهم قوة يستطيعون بها أن يجدوا الرزق والراحلة والسلاح، ومع ذلك تخلعوا، فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلوا عليه معتقدين بصدق، لم يكلدوا ولم يقولوا : لم نجد بل قالوا : لم نكن أيسراً حالاً في ذلك الوقت، ولكن تخلينا وتخاذلنا عن غير حاجة، فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم لهم «انصرفوا حتى ينزل الله فيكم حكمه» ولكنه أمر الناس ألا يكلموهم، فلم يكلمهم أحد، وتسامي الأمر فعزل كل واحد منهم عن أهله، تلك قوة الكلمة حيث تعزل الرجل عن أهله، ولا رقيب في البيت بين الرجل وأهله.

وتسامي التشريع الحاكم مع المنحرف، إلى أن يجعل الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا يأمر على المنحرف بعقوبة، بل يجعل المنحرف نفسه في عقوبة على جريمة اقترفها بينه وبين ربه، ثم يحكم على نفسه الحكم، فهذا «أبو ليابة» تبدو منه باذلة يشير بها إلى اليهود، إنكم إن قبلكم عهد رسول الله، فإنه القتل، فلما قالها، قال «والله لقد علمت حين قلت ذلك التي خانت الله وخنت رسوله».

لم يطلع عليه أحد في ذلك الوقت، ولكنه عرف ما كان من جريمة نفسه، فذهب إلى سارية المسجد، وفوجيء به صحابه رسول الله مربوطاً في السارية، سألهوا لماذا ؟ قال أذنبت ذنباً هذا الذنب هو كذا وكذا، ولم يعلم به أحد، ولا يكفر عن ذنبي إلا أن أربط نفسي في سارية المسجد - أي عمود المسجد - فكان إذا جاءت الصلاة يحل نفسه ويصلى، ثم يعود فيربط نفسه ويقول «والله لا أفلت نفسي ولا أحلاها حتى يفككني رسول الله صلى الله عليه وسلم».

ذلك شيء رائع.. أن يذنب الإنسان في فترة من فترات الضعف ذنباً ولا يراه أحد، ومع ذلك يعاقب نفسه ويفضح نفسه أمام الناس الذين لم يروا تلك هي التربية التي تربى الناس ليضمن الحق - سبحانه وتعالى للناس أنفسهم الداخلي، أمن داخلهم.

أهمية الاستعداد لمواجهة الاعتداء الخارجي :

لا يأتي كل خوف للناس من الداخل، إن الخوف الأشرس والأشد هو الذي يأتي من الخارج، لأن الانحراف الداخلي من المؤمنين يكون بفضلة نفس ر بما تؤوب فترجع فتتوب، ولكن الخوف حين يفدي من خارج يكون من عدو.

إذن، فلابد أن تكون في الأمة قوة، هذه القوة تصنون أمن الناس في الداخل، وتصنون على المؤمنين أنفسهم من خوف خارجي، لذا يجب أن تكون للمؤمنين قوة، هذه القوة لم تكون قوة محددة، بل كل فرد في الإسلام كان معداً لهذه القوة، بحيث إذا جاء التغير لأى لون من ألوان الجهاد، وجده كل واحد صالحًا لأن يحمل سلاحه وأن يخوض المعركة مستعداً لذلك.

ولذلك يأتي النص ليقول : «**خَيْرُكُمْ رِجُلٌ ثَمَسَ بَعْنَانَ فَرْسَهُ، كَلَمَا سَمِعَ هِيمَ طَارَ إِلَيْهَا**» .

إذن لابد من وجود قوتين.. قوة تحمي الأمن الداخلي من الانحرافات الجزئية، وقوة تحمي الأمن من عدو خارجي.. وهؤلاء الخارجون هم أعداء الإسلام.. والقوى لم تنشأ إلا لحماية القيم، فحين تكون القيم منهارة فلا معنى لوجود قوة، لأن القوة في الإسلام لم تجيء لحماية الأرض فقط، وإنما جاءت لتحمي الأرض التي تحمل هذه القيم، إذن فالقيم هي الأساس المقصود بالحماية، فحين تتخلّى أمة في الأرض عن قيمها فما الذي يحمي فيها؟ لا يحمي شيء، لأن الأرض إنما روحها القيم، فإذا ما ذهبت القيم، فالأرض شيء هباء بعد ذلك.. كذلك القيم الإيمانية، تحمي الإنسان وتعطيه

مناعة ضد أن يغزوه عدو خارجي.. ويحاف الإنسان من غزو العدو الخارجي لأنه يحاف أن يفتن في القيم، يحاف أن يفتن في الدين، أى أن خوفنا من أن يغزونا عدو خارجي لم ينشأ إلا لأننا نحاف على قيمنا من أن نفتن فيها.. ولذلك كان المطلوب منا ألا ندخل القوة لوقت الحاجة.. لأننا إذا دخلنا القوة لوقت الحاجة ربما عجلنا عدونا عن غير عد وغير استعداد فيصيب منا ما يريد فجأة.

لذلك طلب الحق - تعالى - من المؤمنين أن يحتاطوا لهذا الأمر احتياطًا قويًا فيقول : (وَأَعْدُو لَهُم مَا أُسْتَطِعُمْ) سورة الانفال - الآية ٦٠ - والإعداد يكون قبل ولوج المارك أي قبل الدخول فيها والتلظى بتبرانها.

و «ما استطعتم» تدل على أن كل إمكانيات الأمة وكل مواهبها يجب أن تتعاون وأن تتكافف على أن ترد العدو الخارجي، إن حدث نفسه بخرق حدودنا الإيمانية أو القيم الإسلامية.. و «ما استطعتم» هذه تعطي العذر للمؤمنين حينما تكون إمكانياتهم ضعيفة، يجب ألا يقفوا ويقولوا : إمكانيات عدونا أكبر من إمكانياتنا.. لأن الله طلب منا أن نعد ما استطعنا، وحين نعد ما استطعنا في إخلاص للاستطاعة بدون كسل، وبدون تهاون، فإن على الله أن يقوى هذه الاستطاعة تقوية تجعل الجيش القليل في العدد أو القليل في المعدات، يغلب الجيش الكثير في العدد والقوى والمعدات.

ولذلك يعلمنا الحق - سبحانه وتعالى - ألا تخور لأن قوانا أقل من قوى عدونا، لماذا ؟ .. لأنكم لا تدخلون المارك وحدكم وإنما تدخلون بريكم يحميكم ويربكم يعينكم.. كيف يقول الحق ذلك ؟

يقول الله : - سبحانه وتعالى - حين يريد أن ينصركم على عدو كثير العدد قوي المعدات فلا تستعجبوا ذلك.. لأن الله - سبحانه وتعالى - سيلقي في قلوب عدونا الرعب، ومتى ألقى الحق في قلوب عدونا الرعب فلن ينفعه عدده، ولن تنفعه معداته،

وَحِينَ يَلْقَى فِي قُلُوبِ الْعُدُوِّ الرُّعْبَ وَيَرْجِعُ - وَلَوْ - شَرِّاً وَاحِدًا يَقْوِيُ الْجَنْدِيُّ الْمُؤْمِنُ،
وَيَكُونُ كُلُّ عَتَادٍ لِلْعُدُوِّ الْقَوِيِّ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُسْعَفَاءِ.

إذن، فالحق يتطلب منا دائمًا أن نعد ما استطعنا وأن نكمل تلك الاستطاعة بيقين قوي من الله، ولذلك يضرب لنا الحق - سبحانه وتعالى - المثل في ذلك فيقول (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) سورة الانفال - الآية ٦٥.

فإذا نظرت إلى النسبة بين عشرين وبين مائتين، وجدت نسبة واحد إلى عشرة، أي أن المؤمن الواحد بقدرة الله له لابد أن يقاوم عشرة، فإذا نزلت النسبة عن ذلك، فهو ناشيء عن ضعف قوة اليقين وقوه الإيمان بدليل أن الله لم يحافظ لنا على هذه النسبة لعلمه بأن قوتنا قد تضعف فبعد أن كانت النسبة من واحد إلى عشرة قال - سبحانه وتعالى - (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين) سورة الانفال - الآية ٦٦.

إذن فالمأساة انتقلت من واحد إلى عشرة، إلى واحد إلى اثنين.. والتخفيض الذي طرأ على هذه النسبة يرجع إلى الضعف، الضعف في اليقين والضعف في الإيمان.. فإذا هرم قوة مؤمنة أمام قوة كافرة دون هذه النسبة، فنعلم أن ذلك ناشيء من ضعف إيماننا، ولذلك يضرب الله مثلاً ثانية، فيقول : (إذ تقول للمؤمنين ألم يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة متزلاً * بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين). سورة آل عمران - الآية ١٢٤، ١٢٥. إذن على مقدار تقواكم وعلى مقدار صبركم وعلى مقدار إيمانكم، وعلى مقدار صدقكم العهد مع الله في الصفة التي عقدها، تكون معونة الله لكم.. فالمؤمن القوي هو الذي يقدر أن يحدد مقدار معونة الله له، فإن أرادها معونة قوية فليقبل بتقوى قوية،

وإن أرادها معونة قوية فليقبل بإيمان قوي، لأن القوة العددية حين تلقي القوة الإيمانية، لا يمكن أن تثبت معها أبداً.

ولذلك، نجد أن الحرب الإسلامية الإيمانية، ابتدأت في بدر وحينما ابتدأت ماذا كان عدد المسلمين؟ وماذا كانت عدتهم؟ وماذا كان عدد المعكسر المقابل وهم الكافرون؟ .. ألف أمم ثلاثة عشر عدد كثير أمم عدد قليل، وعدة متوازنة أمام عدة قليلة، ولكن الله أراد أن يستهل نفوس المسلمين استهلاكاً يثبت الإيمان في قوتهم، لأنهم ليسوا معزولين عن الله، وإنما موصولون بالله.

وبعد ذلك يأتي واقع المعركة الذي يتحقق مبادئ يجب أن تتبه إلية، فما هي هذه المبادىء؟

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه في صف رسول الله، وابنه قبل أن يسلم كان في صف الكفار، وبعد أن آمن قال : يا أبا لقتلك يوم بدر فلوست وجهي عنك، أي أنه يقول : كان من الممكن أن أقتلتك، ولكني صرفت وجهي عنك، فيقول له أبوه أبو بكر : أما والله لو رأيتك في المعركة لقتلتك.

نحن أمام موقفين.. موقف يمثل الحق لا يجامِل، وموقف يمثل الباطل حين يلقي الحق فيتخاصِل.. كلام أبي بكر - رضي الله عنه - منطقي مع عقيدته وكلام ابنه منطقي مع عقيدته.. لأن ابن أبي بكر حين يلقي أيامه، أبوه له حق الأبوة عنده، وهو ليس على دين حي يغار عليه، فحين يقارن حق أبيه وحق ماذا؟ لو كان مؤمناً بأن عقيدته التي يقاتل عليها عقيدة حقه، لهان أبوه في نظره، ولكنه حينما قارن حق أبيه لم يوجد حقاً مُقاَبلاً ليقارنه به بل، وجد باطلاً فوجد أبيه أفضل من لا حق يقف هو في صفقه، وأبو بكر - رضي الله عنه - كان أيضاً منطقياً مع عقيدته، لأنه مع الحق الإيماني، وابنه لا يعني عنه من الله شيئاً، إذن فقد قارن بين حق لابنه وحق لربه، فلأن

أن يكون مع حق رب، وإن كان ذلك على حق ابن، فقال : لو تراعيت لي في المركبة لقتلتك.

تلك هي العقيدة الإيمانية حين تقاتل لكلمة الله، فيجب ألا يستقر في الذهن أبداً إلا كلمة الله، ولا أنساب ولا أحساب ولا صلات لأن صلة الإنسان بربه أولى بصلته بمن خلق الله.

ما حدث بين أبي هريرة وأبيه يعطينا مثلاً للمباديء التي يجب أن تتبه إليها.. ومثال آخر، مصعب بن عمير، كان له أخ اسمه أبو عزيز، ومصعب وأبو عزيز كانوا مدللين في قريش لأبويهما غني ولهمما في ذلك الغنى ترف، ولكن مصعباً - رضي الله عنه - أمثلأً قلبه بحب الإيمان فأمن وهاجر وعاش في عيشة فقر وفاقة حتى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يراه وهو في المدينة يلبس جلد ما عز لستر به عورته، فيقول «انظروا إلى هذا الرجل، كيف فعل به الإيمان، والله لقد رأيته وما في مكه فشي أعز منه، ولكن هكذا صنع به الإيمان».

يلقى مصعب بن عمير أخيه أبي عزيز، وأبو عزيز كان لا يزال في صف الكافرين، وبعد ذلك يأسره أنصاري يقال له أبو اليسر، فيمر مصعب على أخيه وهو في قبضة الأسر، فيقول لأبي اليسر «أشدد يدك على أسيرك فإن أمه غنية وستفديه بمال كثير» فيقول له أخوه أبو عزيز «أهده وصاتك أخيك يا مصعب» فيقول له «هذا أخي دونك».

إذن، فحسب الإيمان ونسبة هو الحسب الذي يجب أن يُعتد به، ويتسامي ترجح ذلك النسب على النفس ذاتها، ومعنى النفس ذاتها أن يوجد الإنسان بنفسه، ويعتبرها رخيصة أمام الصفقة التي يتضررها لأن الصفقة مرحة.

فالله يقول فيها (إن الله أشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بـأـن لـهـمـ الجـنـةـ) سورة التوبة - الآية ١١١ - فالمشتري الله والمشتري نفوس المؤمنين، والثمن الجنـةـ وما غـاـيةـ

الإنسان إلا أن يعيش سعيداً فإذا ما كان الثمن الجنة فليتعجلها كما يتبعجلها الصحابي الذي قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أليس بيتي وبين الجنة إلا أن أذهب إلى هؤلاء أقاتلهم فيقتلوني ؟ (قال : نعم) وكانت في فمه تمرات فاستطع أن يظل حياً إلى أن يمضى هذه التمرات والتى بالتمرات وخاصة المعركة قتلت.

وأيضاً جمال الصفة وأغراها يجعل المعنور في الإسلام عن الجهاد يتطرق بالجهاد.

هذا هو عمرو بن الجombok، رجل عذر الله لأنه أخرج فيقول لأبنائه : لا بد أن أشهد المعركة فيقولون له : يا أباانا نحن نكفيك المعركة فيقول لا، ولا بد أن أشهد المعركة، فيصر أبااؤه عليه لمنعه فيذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول له «يا رسول الله إن أباائي يمنعوني أن أخوض المعركة» فيقول له رسول الله «إن الله قد عذرك» أي أنه ليس على الأعمى حرج ولا على الأخرج حرج، فيقول له «والله يا رسول الله، إني أحب أن أطأ برجحي هذه الجنة» فيبتسم رسول الله ويطلب من أباائه أن يسمحوا له.

فهذا رجل معنور بحكم الإسلام والشرع، ومع ذلك استطاع الصفة، فأحب أن ينتهز هذه الصفة ليأخذها.. لأنه عاقل، هو سيموت حارب أم لم يحارب، فالموت لم يترك أحداً، فلماذا لا يموت بصفة رائحة، تجعله ميتاً في نظر الناس، ولكنه حي إلى أن تقوم الساعة، حي يرزق.

فأي عقلاء هؤلاء ؟ هم الذين يوازنون في الصفقات ويستهينون بهذه الحياة ويرخارفها، حين يعيش المؤمن في جو عقائدي، وحين يتأكد أن الذي عقد الصفقة معه هو ربه الذي يصدق وعده، يجب عليه أن يتهافت على هذا الأمر، ويحب عليه ألا يدخل وسعة وأن يعتقد أنه سيموت شهد المعركة أم لم يشهد.

القوة في الإسلام روحية و مادية

نأتي إلى قضية القوة في الإسلام .. القوة في الإسلام موضوعة لمهمة، إلا أنها في آخر عهدها قد وجهناها المهمة وجهة أخرى، هذه الوجهة هي ما أراد أعداؤنا أن يقنعونا بها، قالوا : إن الإسلام انتشر بحد السيف فأحب المسلمين أن يردوا على ذلك، فقالوا : لا إن الإسلام لم ينتشر بالسيف ، والسيف لم يستعمل في الإسلام إلا دفاعاً عن النفس، وبعد ذلك جاء المسلمين وأعججتهم تلك الفكرة من أن الإسلام لم ينتشر بالسيف وكأنهم ما فطنوا إلى هذه الدعوة الخبيثة.

لقد نشأ حيث هذه الدعوة من خوف خصوم الإسلام أن يتحقق الإسلام المراد من وجوده في الأرض ليظهر على الدين كله ومعنى «ليظهر على الدين كله» أن مهمته إثبات الرشد للإنسانية كلها، هم يريدون للإسلام أن يكتفى بالبقعة التي هو فيها، ولا يفكر تفكيراً طموحياً في أن يتسع ليجعل كلمة الله هي العليا فيقولون : الإسلام جاء للدفاع فقط ومادام جاء للدفاع فقط فليس له أن يتعدى سائر حدوده. تلك كلمة تبرير الإسلام من أنه انتشر بالسيف ولكنها تعوق الإسلام عن مده الذي أراده الله له، لأن الإسلام ما جاء لينشئ أمة واحدة في الأرض، وإنما جاء ليعمم عدالة السماء في الأرض كلها، ولكنه لا يفرضها فرضأ، إذن، فمادام لا يفرضها فرضأ، فماذا يكون الموقف ؟

إنه إن فرضها فرضأ - بقوته - إن كان يملك قوة الفرض للعقائد - فإنه قد استولى على قوالب، والإسلام لا يريد أن يستولى على القوالب بحكم ظاهر الأشياء، ولكنه لا يحكم خفيات الأشياء، فقصاري أن تملك القالب والشكل، أن صاحب القالب والشكل يحاول ألا تراه منحرفاً عن منهج الحق، فإذا ما خلا له الجو، أو إذا استطاع أن يستتر بجرمه فإنه يفعله.. لأنك لم تملك قلبك، وإنما ملكت قالبه، إذن

فقال به هو موضوع الحساب والجزاء، لذلك وضع الحق مبدأ انسياح الإسلام، فقال «لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الشيء» سورة البقرة - الآية ٢٥٦.

مادام لا إكراه في الدين، فكيف تريد أن يمتد الإسلام إلى رقع أوسع؟

إن الذي يمنع منطق عدالة الإسلام هو قوى الطغيان في الأرض، فالإسلام حين ينشر مبادئه ويجد قوة من قوى الطغيان تحاول عن ترد المسلم عن قول دعوته وعن الدعوه إلى الله، فلنا أن نقف أمام هذه القوة، وأن ندركها دكما، وبعد ذلك تترك الناس أحرازاً ليروا رأيهم بحرية ومحض اختيار، فلا فرض لعقيدة، لذلك ينجد الإسلام حينما فتح بلداً من البلاد، لم يحمل كل أهلها على أن يسلموه، وظل فيهم من ظلل على دينهم..

ولو أن الإسلام جاء ليتشر بالسيف، فإن معنى ذلك، أن كل بلد فتحه الإسلام، كان ولابد أن يسلم أهلها، ولكننا نجد كثيراً من البلاد المحتوحة ظلل أهلها على دينهم ولا حرج عليهم إذن فماذا فعل الإسلام؟

لقد أزاح الإسلام قوى الطغيان التي تفرض على الناس ديناً، فإذا ما أزاحها ترك الناس أحرازاً يختارون ما يشاؤون من الأديان وحيثند يكون اقبالهم على الإسلام بطوعية، لأن الذي يقبل على مبدأ من مبادئ الإسلام باكراً سيظل في نفسه كره على ذلك الدين الذي قهر إرادته، ومادام هناك كره على ذلك فلن يخلص له أبداً، ومادام لا يخلص له أبداً فإن المسلمين لم يزدادوا شيئاً، والمسلمون إنما يريدون أن يزدادوا جواهر عاملة وعنصير فعالة.

إذن يجب على المسلمين في جميع بقاع الأرض، أن ينتبهوا إلى أن قوانهم التي يعودونها الآن - لتدفع فقط عنا العدو أن يغزونا في دارنا، وأظن أننا حين نقول : لتدفع فقط تكون قد وصلنا إلى منطقة من الضعف يرثي لها، فبدلاً من أن تكون مطالبين بأن تنساح بإسلامنا خارج حدودنا، إذا بما نهاجم في ديارنا، وذلك هو الهوان، ولابد أن نبحث في أسباب ذلك الهوان.

على المسلمين أن يتبعوا إلى أن القوة المادية ليست هي كل شيء، فما لم تتحمها قوة روحية، مستكينة لله ومغترفة بفضل الله بلا غرور ولا زهو حيث إن تكون القوة المادية مسنودة بالقوة الإيمانية والروحية وذلك لا يتأتى إلا بالاتحاد الصاف وبوحدة الكلمة.

ولذا استقرأنا واقعنا الحديث، وجدنا أننا هزمنا مرة، ووجدنا مرة أخرى بوادر النصر، بوادر النصر هذه جاءت على مقدار إقبالنا على الله ببعض الشعارات، أقبلنا باسم الله وأقبلنا بـ «الله أكبر» شعارات وإن لم تأخذ موقعها من الواقع، وتغلغلت في حياة الناس، فلو أننا نقلنا هذه الشعارات إلى الواقع يتمثل تعظيماً لمباديء الإسلام وتطبيقاً لمنهج الإسلام لأعطانا الله على قدر إقبالنا عليه.

ويجب أن نعلم أن نكون كذلك إلا إذا وضعنا منهج الله أمامنا، وعملنا بما يقول، واتتهينا بما ينهانا، وكنا أمة واحدة وصفاً واحداً وحيثناك تستحق أن تكون جند الله ومادمنا جند الله، فإن الله يقولها كلمة صادقة، لأن الله هو الذي يقولها : (وإن جندنا لهم الغالبون) سورة الصافات - الآية ١٧٣ .

فإذا ما رأيتم معركة بين المسلمين وبين غيرهم انهزم فيها المسلمون فإن عصراً من عناصر جنديتنا قد تخلف، انصروا الجنديية لله، وغير ذلك لن تكون من الغالبين، فلا تقل : انتي دخلت المعركة وأنا جندي لله، ومع ذلك انهزمت تقول لا، ان ربك يقول (وإن جندنا لهم الغالبون) سورة الصافات - الآية ١٧٣ ، ومادمنا لم نغلب فلابد أن تكون هناك شروط لجنديتنا لله قد تخلفت، وذلك مثل قد ضربه الله في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم أى وهو بين صحابته في موقعة أحد - التي حدثت ولم يمر عام على انتصار المسلمين في بدر - أراد الله أن يجعلها درساً يتلقاه المسلمون وبين أيديهم رسولهم، الرسول أمراً أمراً، وبعد ذلك خولف هذا الأمر، فلو أن المسلمين انتصروا في هذه المعركة مع مخالفتهم أمر رسول الله، سيقولون لقد خالفنا أوامر الرسول وانتصرا،

ولكن ماداموا قد خالفوا الأوامر فلينهزموا حتى يتربي المسلمين ويقيي الإسلام سوياً صحيحاً، صحيح إن المسلمين - الذين تخاذلوا - انهزموا، ولكن الإسلام بمبادئه وقيمته ويأمر مشرعه صلى الله عليه وسلم قد انتصر.

إذن، فكل هزيمه لها عنصر من مخالفة لجندية الله، نفتش في أنفسنا فنجد هذه المخالفة واضحة.. وأيضاً يدعونا الإسلام ومبدأ الإيمان أن نذكر الله دائمًا مع إعدادنا لكل قوة، والا نفتر بقورة.

وهذا مثل - آخر ضربه الله للMuslimين في حين : (وَيَوْمَ حِينَ إِذَا أَعْجَبْتُكُمْ كُثُرَتُكُمْ فَلَمْ تَفْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا) سورة التوبة - الآية ٢٥. الكثرة لا تغنى شيئاً إن تخلي الله عنا بالنصر، ويجب ألا نزهو بالكثرة، ويجب أن نحاسب أنفسنا بعد كل معركة، لنعرف حصيلتنا الإيمانية والله يضرب المثل في ذلك فيقول :

(وَكَأَيْنَ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِيعُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنَا لَمَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعَفُوا وَمَا أَسْتَكَانُوا) سورة آل عمران - الآية ١٤٦ .. أصابتهم هزيمة.. هل ضعفوا ؟ هل استكانوا ؟ لا، ولكنهم بحثوا في أسباب هذه الهزيمة، ولماذا أصيروا في تلك المعركة تلك الاصابة ؟ فكرروا وحللو ليعرفوا موقع الضعف منهم في مخالفة بند من بنود الجندية لله (وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبُّنَا أَغْفِرْ لَنَا ذَنْبُنَا) سورة آل عمران - الآية ١٤٧ .. فكانهم علموا جيداً أن سبب الهزيمة هو ارتکاب الذنوب (رَبُّنَا أَغْفِرْ لَنَا ذَنْبُنَا وَاسْرَافُنَا فِي أَمْرِنَا) سورة آل عمران - الآية ١٤٨ - غرور وكلام وشعارات بلا رصيد. (وَلَبِطَ أَقْدَامُنَا وَانْصَرَنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) سورة آل عمران - الآية ١٤٧ .. إذن هم عادوا إلى نفوسهم ولم يعودوا إلى ربهم ليقولوا له : إننا مؤمنون فكيف هزمنا ؟، بل عادوا إلى نفوسهم، لأنهم هم الذين أخلوا بشرط الإيمان في نفوسهم.

وما كان قولهم بعد أن أصابهم ما أصابهم (ربنا أغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا
وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) سورة آل عمران – الآية ١٤٧ – فماذا كان جواب
الله لهم ؟

حينما أقرّوا بأنّهم هرموا وأصيروا، لأنّهم أسرفوا على نفوسهم، ولأنّهم ارتكبوا
ذنوباً، يكون المريض قد اعترف بذاته، ولم يحاول أن يغالط طبيبه فإن الحق سبحانه وتعالى
يقول (فاستجيب لهم).

ومadam ربيم قد استحباب لهم فيكون هذا من لون الإحسان لأنّ معنى الإحسان
ليس ألا يخطيء، ولكن إذا خطأنا فلتنتبه للخطأ.

(وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا أغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا
وانصرنا على القوم الكافرين) سورة آل عمران – الآية ١٤٧ (فتأتاهم الله ثواب الدنيا وحسن
ثواب الآخرة والله يحب الحسنين) سورة آل عمران – الآية ١٤٨. أى نصر على الكافرين
وثواب الآخرة.

وحين نريد أن نعرض موقفنا اليوم عرضاً إيمانياً، يجب علينا حين نصاب بنكسة،
أو نصاب بهزيمة لا نقول : نحن مؤمنون فلماذا هرمنا ؟ بل نقول : أن شرط إيماناً قد
اخالف فيما، وإن عنصر الجندية لله قد اختلف فيما، فإذا تبعها إليه ورجعنا، فإن الله يقبل
التوبة، ويقبل الرجوع، وبائي في بقية المناسبات بما يثبت ذلك.

الفصل الثاني

حتمية الحل الإسلامي

ويمضي الزمن ويظهر فساد قوانين البشر،
وانها لم تجلب إلا الشقاء للبشرية...
فيأخذون في تعديلها بحجة معالجة
المشكلات التي ظهرت عند التطبيق.

محمد متولى الشعراوى

ما هي قوانين المنهج الإسلامي؟.. وما هي الآثار السلبية المترتبة على ترك قوانين الله ومنهج الإسلام والنجوء إلى قوانين الأرض ومنهج البشر؟ وما هي الدوافع التي جعلت النظريات الدينية الغربية تنهر ويقتنع هؤلاء الذين نادوا بأهميتها بثبات قوانين الله ومنهجه؟.. ولماذا تكمن حلول كل المشكلات في المنهج الإسلامي؟ أى لماذا يؤكد الحل الإسلامي أهميته حتميته؟

استلة نجيب عليها في هذا الفصل.

عندما تتحدث عن الإسلام فاننا تتحدث عن منهج الله الذي رسمه سبحانه وتعالى للحياة في الأرض.. وهو المنهج الذي لن يصلح الكون إلا إذا تم تطبيقه.. ذلك أنه لا يوجد من هو أعلم من الله.. وأحكم من الله.. ليرسم لنا طريق الحياة الآمنة المطمئنة.

والله هو الذي خلق الإنسان.. وليس أدرى بالشيء من خلقه أو صانعه.. فهو الذي يضع له قانون تشغيله وقانون صيانته.. ليؤدي مهمته على أكمل وجه.. ولقد أراد الله سبحانه وتعالى برحمته ليفهمنا ذلك.. فجعل ذلك قانوناً أرضياً لا تصلح الحياة إلا به.. فإذا أخذنا التليفزيون مثلاً.. فإن أول من يضع قانون تشغيله هو الذي اخترعه.. وهو يقول لك أفعل كذا واضغط على الزر رقم كذا ليعطيك الصورة.. ورقم كذا ليعطيك الصوت.. ثم يضع قانون الصانع «الكتالوج» مع الجهاز يدرسه المتخصصون ويرجع إليه الناس إذا فسد الجهاز وأرادوا إصلاحه.. فإذا ذهبت لحضور محاراً أو حداداً ليصلاح جهاز التليفزيون فإنه يفسده.. وإذا قلت للناس ذلك فإنهم يسخرون منك.

والعجب أن هؤلاء الناس الذين يسخرون منك إذا فعلت ذلك بالنسبة لأى اختراع أو آلة.. فإنهم هم أنفسهم الذين يحاولون مقاومة تطبيق نفس النظرية على

الإنسان .. فالله سبحانه وتعالى هو الذي خلق هذا الكون .. وخلق الإنسان ووضع القوانين التي تمضي بها الحياة كلها .. ولكن الناس تأتي لتحاول أن تفسد الكون بأن تضع له القوانين التي تروقها .. تماماً كما تحضر الحداد أو النجار ليصلح جهاز التليفزيون.

وهي بذلك تدعى بلا حياء أنها أعلم من الله بخلقه، وأعلم من الله بأمار كونه .. فبدلاً من أن تأخذ قوانين الله الخالق والصانع، تحاول أن تضع هي القوانين، فتري القانون الروماني والقانون الفرنسي وغيرهما.

ويمضي الزمن ويظهر فساد قوانين البشر، وأنها لم تجلب إلا الشقاء للبشرية .. فيأخذون في تعديلها بحجج معالجة المشكلات التي ظهرت عند التطبيق .. وبعد عدة سنوات يتبيّن أن التعديل لم يصلح شيئاً، فيتم تعديل التعديل، وهكذا تمضي القوانين البشرية في حلقة مفرغة .. تزداد معها المشكلات وتتفاقم معها الداءات .. ولكن أحداً لا يفكر أبداً في أن يرجع البشرية إلى قوانين الله .. لأن هذه القوانين البشرية كلها لا تصلح حياة الإنسان في الكون .. بل تفسده.

وإذا نظرنا إلى العالم اليوم نجد أنه يملؤه الشقاء، ولو استمعت إلى أي نشرة أخبار في الأذاعات أو في الصحف، لوجدت أنها تحمل من أخبار الدمار والخراب والقتل والحروب والغزو والاحتلال والتهم الدول لبعضها لدرجة أن دولة مسلمة التهمت دولة مسلمة أخرى - أكثر من أخبار الخير والبركة والحياة الآمنة للناس .. والحل تطبيق قوانين الله .. وهذه ستائي عن اختيار أو عن اضطرار .. لأنه لا طريق غيرها. ولكنها ستكون اضطرارياً بعد تجرب مريرة، وشقاء بشري يمر به العالم.

وقبل أن نبدأ في الحديث عن حتمية الحل الإسلامي للبشرية كلها .. لابد أن نفرق بين قوانين الأرض وقوانين الله ذلك أن هناك فرقاً جوهرياً قد لا يتبه إليه الكثيرون فقوانين الأرض عند التطبيق لا تقتضي أي نوع معين من السلوك .. ولكن قوانين الله

تفتتضي مع التطبيق سلوكاً بالعمل، ومسألة هذا العصر ليست في أن نصل إلى النص الواضح في قوانين الله، ولكن القدوة السلوكية هي القليلة، بل النادرة. وقوانين الله محتاجة إلى سلوك، وإلي قدوة وهذا ما يغيب عنا.

إن الله سبحانه وتعالى يريد من المؤمنين أن يطبقوا قوانينه.. وأن يطبقوها أولاً على أنفسهم، فإذا لم يبدأ الإنسان بنفسه، انتفت القدوة الإيمانية التي يجعل الناس يستمعون إليه ويصدقونه.. ونحن في عصر جرب الإنسان فيه كل شيء، وكل نظريات الدنيا التي تبدو براقة.. وووجد فيها الشقاء والتعاسة، ولذلك أصبح يحن للرجوع إلى الدين ليخلصه من هذا الشقاء.. ولكن الرجوع إلى الدين تلزمها القدوة فيمن يقدموه التصيحة.. أو كما قلت أن يطبق الإنسان ما يقوله علي نفسه أولاً.. ولقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : «أنا لا أمركم أمراً أنا عنه بتجوى»

ومن هنا فإن أهم ما يلزمنا ليس تعليم الدين فقط.. ولكن سلوكيات الدين.. فهذه هي التي تصنع.. وهذه هي التي تبني.. وأنا عندما يأتيني رئيس عمل ولا أراه متميزاً عنى إلا بالشقاء في عمله، والدقة في حضوره.. فإذا طلب مني أي شيء فانتي أقوم به عن طيب خاطر، ذلك لأنني أحس أنه غير متميز عنى إلا بكثرة مستهلكاته «وهو في هذا يعطني القدوة السلوكية التي رسمها الإسلام.. والإسلام دين الحق.. ولقد قال أحد المستشرفين الذين اعتنقا الإسلام : أنه آمن بهذا الدين لأن الرسول كان يكره أن يتميز على أصحابه.. ولو أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن رسولاً، وكان يأتي بهذا الدين من عنده.. لكان له هدف من ذلك.. فكل من يكذب بفعل ذلك لهدف.. والكذب في مدعى النبوة أنهم يريدون أن يسيطروا أو يحكموا أو يحصلوا على نفع عاجل من الذين يدعونهم إلى الدين الجديد ولكن محمداً صلى الله عليه وسلم كان قدوة سلوكية فلم يكن بيغى السيطرة.. بل كان يقول دائمًا : انه يبشر رسول.. ولقد عرضوا

علي رسول الله - صلي الله عليه وسلم - في أول الأمر ويدون جهد أو تعب أن يعطوه من المال ما يريد، فلما رفض عرضوا عليه الملك إن أراد.. فلما رفض عرضوا عليه الرعامة والعزوه والجاه والسلطان وكل ما تستطيع الدنيا أن تهبه.. كل هذا وهو في أول الطريق.. ولكنه رفض هذا كله.. ورسول الله - صلي الله عليه وسلم - رفض بعد أن انتصر الإسلام وانتشر في الجزيرة العربية وثبت أقدامه رفض أن يحصل على ميزة شخصية.. فلا هو بني لنفسه قصراً، بل ظل يعيش في بيته.. ولا هو أنشأ لنفسه حرساً مصداقاً لقول الله سبحانه وتعالى : «والله يعصمك من الناس» سورة المائدة - الآية ٦٧

ولا هو ملأ بيته بالولائم وفاخر الطعام.. بل كان كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها.. تمر الأيام ولا توقد في بيتنا نار.. فكان يعيش على التمر والماء.. ولا هو حقق لزوجاته ثروة من مال الدنيا، بل منع عنهن الغنائم دون سائر نساء المسلمين.. ولا هو ترك ثروة لذريته بل قال : (لا لنفسي.. ولا للذرية.. نحن عشر الأنبياء لا نورث.. وما تركناه صدقة).

وينهي المستشرق حديثه.. بأن رجلاً هذا خلقه لابد أن يكون صادق الرسالة..
رسول الله الحق الأمين.

وإذا كانت البشرية تعاني فإنها لابد أن تعود مضطربة ومقهورة إلى قوانين الله في الأرض إذا أرادت إصلاحاً.. وفي ذلك تستطيع أن تضرب الأمثلة التي بدأت تتحقق.

أول هذه الأمثلة هو الطلاق.. والله سبحانه وتعالى أباح الطلاق.. لأن الحياة لا تستقيم إلا به.. وجاءت الكنيسة الكاثوليكية تحرم الطلاق، وتدافع عن ذلك بأنه حفظ لكيان الأسرة إلى آخر ما قيل ويقال.. ومضت السنوات وتفاقمت المشكلات، وبدلاً من أن يحفظ عدم الطلاق الأسرة هدمها.. وأنحرف الزوج.. وانحرفت الزوجة وضاع الأولاد واضطررت الكنيسة الكاثوليكية مرغمة أن تبيح الطلاق.. لم يحدث ذلك اقتناعاً بالدين الإسلامي ولا إيماناً بقوانين الله.. ولكن حدث لأن الحياة لا تستقيم بدونه.

والمثال الثاني مسألة أن ترضع الأم طفلها.. حكم من الله سبحانه وتعالى أن تكون الرضاعة مدة عامين، مصداقاً لقوله سبحانه :

«والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين» سورة البقرة - الآية ٢٣٣

وجاءت المجتمعات غير الإسلامية لتقدم نوعاً من اللبن للأطفال يعطي لهم بعد أسبوع من الولادة.. وقالت : إن هذا اللبن يعطي الطفل من العناصر الغذائية مالا يعطيه له لبن الأم.. وصدق الناس هذه النظريات، واندفعوا بلاوعي وراء ألبان الأطفال التي تبيعها الصيدليات.. ومضى الزمن، وهذا الوهم الكبير يسيطر على العالم.. إلى أن اكتشفوا أخيراً الأضرار الهائلة التي تحدث للطفل الذي لم يرضع من لبن أمه.. ومن نفس المكان انطلقت صيحة جديدة متعددة هذه المرة بهذه الألبان التي تعطي للأطفال.

انطلقت الصيحة هذه الأيام لتقول : إن الطفل الذي لا يرضع من لبن أمه يتضايا على الجسد عليه النفس.. وأن الأم لابد أن ترضع طفلها إذا كانت تريد أن ينشأ ابنها نشأة طبيعية.

وهكذا عادت المجتمعات الغربية التي تبهر بعض الناس بما يسمونه التطور العلمي.. عادت هذه المجتمعات إلى قانون من قوانين الله، وأن الأم لابد أن ترضع طفلها.. عادت إلى قول الله سبحانه وتعالى :

«والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين» سورة البقرة - الآية ٢٣٣

هل عادت بالإيمان؟.. هل عادت لأنها آمنت بالإسلام؟.. لا.. لكنها عادت، لأن الكون لا يصلح إلا بقوانين الله.

والمثال الثالث هو عقوبة القتل.. والله سبحانه وتعالى قد شرع هذه العقوبة، جراء لقتل النفس البشرية والفساد في الأرض.. فقال سبحانه وتعالى :

«إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسيرون في الأرض فساداً أن يُقتلوا أو يُصلبو، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف» سورة المائدة - الآية ٣٣

وجاءت بعض المجتمعات الأوروبية وألغت عقوبة الإعدام.. ومن هذه الدول: بريطانيا وإيطاليا.. ومرت السنوات، وإذا بالجريمة تنتشر في هذه المجتمعات انتشاراً مروعًا، حتى ارداد معدلها بنسب كبيرة، وإذا بنفس هذه الحكومات - التي قالت بأن ذلك مدنية - تطالب مرة أخرى بعودة عقوبة الإعدام كحل ضروري لمواجهة زيادة الجرائم وبخاصة جرائم القتل والتغريب.

والمثال الرابع في الريا.. ونظرة واحدة إلى الاقتصاد العالمي الآن ترينا ماذا فعل الريا.. فقد وقعت كل دول العالم في الديون.. الدول الغنية والدول الفقيرة.. وفي كل يوم يزداد الأغنياء غنى ويزداد الفقراء فقرًا، اختل الميزان الاقتصادي للعالم كله، واجتمع خبراء الاقتصاد في العالم وقالوا إنه لا حل للمشكلة الاقتصادية.. إلا أن يصبح سعر الفائدة في العالم صفرًا.. ولو أنهم كانوا منصفين لقالوا: إنه لا حل للمشاكل الاقتصادية في العالم والريا موجود.. ولكن كلمة الحق لم تكن تخرج من أفواههم فقالوا سر الفائدة لابد أن يساوى صفرًا.

وعلى آية حال.. فلن يعتدل النظام الاقتصادي في العالم مادام التعامل يتم بالربا..
فإذا أنهى التعامل بالربا انتصلح اقتصاد العالم.. تلك القضية التي لا بد أن نفهمها.. إن
العالم كله لا بد أن يعود إلى القوانين التي شرعها الله للحياة على الأرض حتى تستقيم
الأمور.. فان لم يعد باختيار وليمان.. فسيعود مضطراً بعد تجربة مريرة تعانى منها البشرية
الويل.. وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله» سورة العنكبوت - الآية ٣٢.

أى أن منهاج الإسلام ومبادئه مستسود العالم كله ولن تستقيم الحياة بدونها.

أعطانا الله سبحانه وتعالى هذا المنهاج هدية من عنده.. وبين لنا الطريق في رحمة تنزلت علينا.. وهو يريد بذلك أن يقينا سوء التجربة والخطأ التي ستمر بها.. ثم بعد ذلك نعود إلى منهج الله.. ولكننا رفضنا هذه النعمة وبدأتنا نبحث عن المدنية.. التي هي في الحقيقة تحاول أن تهاجم الإسلام وتظهره بمظاهر الرجعية والوحشية.. وفي ذلك يتحدثون عن عقوبة قطع يد السارق وكيف أنها وحشية.. وينسي هؤلاء أنه في كل صباح في العالم تقطع مئات الأيدي والأرجل في الحروب الصغيرة التي أصبحت تدور في كل مكان.. وفي حوادث الخطف والنهب والاعتداء على الأعراض التي زادت بسبب هائلة في كل أنحاء العالم.. إن الأيدي التي كانت تقطع في لبنان وحدها كل صباح، أكثر من الأيدي التي قطعت كقصاص من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا.. فلما هذه الوحشية؟ ومن هم المتورضون؟ ومن هم المتدينون؟

على أن لله سبحانه وتعالى في كونه آيات كثيرة تظهر إعجاز الله.. ونحن لا نفهمها.. فقوانين الكون.. وقوى الكون التي تخاطب هذا الدين إنما تظهر الحق فيه.. وذلك أن الجمال في الكون هو أن يوجد الشر بجانب الخير.. وأن نرى الحق ينتصر على الباطل.. فالله سبحانه وتعالى حين وضع قوانين كونه.. وضعها بحكمة ودقة.. ليسير الكون إلى غايته فالله سبحانه وتعالى جعل لكل مجد نصيبا ليكون هناك العمل.. لو أن الطالب الذي يذاكر ينجح.. والطالب الذي لم يذاكر ينفع.. لأن خفي الجمال في الكون.. لأنه في هذه الحالة لن يذاكر أحد، وسيصبح الناس أميين وتنتهي حضارة البشرية التي أرادها الله للإنسان ولكن الجمال في الكون هو أن يرسّب الذي لا يذاكر، وينجح الذي يذاكر وأن يتم كشف أسرار الكون للعالم الذي يبحث عنها، ولا يتم لمن لا يبحث.. وأن يعرف الذي يدرس أكثر من الذي لا يقرأ.. تلك أسباب وضعها الله سبحانه وتعالى ليرقى الكون الخلق إلى الحضارة التي خلقها الله.. ولو أعطي الله سبحانه وتعالى الحضارة للإنسان بدون علم لحطّم نفسه وانتهي الكون.. ولو أعطاه علمًا بدون حضارة لأحسن الإنسان ثلاثة قيمة العلم.. ولكن الاثنين يكمل بعضهما ببعضًا.

والإسلام قبل كل شيء هو سلوك.. والإنسان المسلم يجب أن يسلك سلوك الإسلام.. ولكن القليل من الذين يفعلون ذلك.. ولو أنهم فعلوه لأحسوا عظمة هذا الدين وما يقدمه من سلوك طيب ومنهج كريم.

في هذا الكون شيئاً.. شيئاً يفعل لك.. وشيء ينفعل بك.. فالشيء الذي يفعل لك يستوى فيه الناس جميعاً.. كافر ومسلم.. فالشمس مثلاً تفعل لك.. فهي تشرق كل صباح، ولا تخص بدورها كافراً أو مسلماً.. أو شاكراً لله وجاحداً لنعمته.. كلهم سواء.. عطاء الشمس للجميع بلا تفرقة.. والهواء مثلاً تنفسه كل الكائنات الحية بدون أي تفرقة.. والماء تشربه كل الكائنات الحية بصرف النظر عن دين أو عقيدة.

هذه الأشياء تفعل كثيراً.. الشمس تعطينا النور والطاقة وأسباب الحياة إلى آخر ذلك.. والهواء يعطينا أسباب الاستمرار في الحياة.. والماء يعطينا الحياة نفسها «وجعلنا من الماء كل شيء حي» سورة الأنبياء - الآية ٣٠.

كل هذه الأشياء تفعل لك وهي تفعل بلا تمييز، لأنها عطاء من رب العالمين.. فهي عطاء ربوية.. ولقد شاء الله سبحانه وتعالى أن يمنع عطاء ربوبيته للجميع.. لأنه رب الجميع.. رب العالمين.. ومadam هو الرب الذي استدعاك للوجود.. وجاء بك إلى هذه الحياة، فهو يكفل لك بعممه أسباب الاستمرار في الحياة.

ثاني بعد ذلك إلى الأشياء التي تنفعل بك.. وارتقاء الإنسان في الكون يتم فيما ينفعل به.. ولا فيما ينفعل له.. وما ينفعل بك إن فعلت ينفعل.. فإذا حررت الأرض حرثاً جيداً لم وضعت فيها البذر.. ثم واظبت على رعايتها أعطيتك تمراً جيداً ومحصولاً وفيراً.. وإن بحثت في باطن الأرض وجدت البترول والمعادن تعطى لها لك الأرض.. لأنك فعلت فهى تنفعل بك.. وفي هذا لابد أن تتبه إلى قول الله سبحانه وتعالى :

«لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا يِنْهَا وَمَا تَحْتُ التَّرَى» سورة ملـه - الآية ٦.

ذلك أن هذه الآية نزلت منذ أربعة عشر قرناً.. ولم يكن أحد في ذلك يعرف ما تحت الشري سوى أبار المياه التي يحفرها الناس فأخذت على هذا المعنى.. ثم تقدم العلم ليكتشف لنا أن في باطن الأرض كثيراً تزيد على ما فوق سطح الأرض فتبهنا إلى قوله تعالى (وما تحت الشري) .. وعرفنا أن الله سبحانه وتعالى قد أبانا في قرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً أن هناك كثيراً في باطن الأرض .. ولو تبهنا إلى هذه الآية لبحثنا عن هذه الكثرة .. ولكن وقت أن نزل القرآن لم يكن قد جاء موعد ميلاد ما تحت الشري .. والمؤمن الذي يترك المعدن في باطن الأرض ولا يبحث عنه لا يخرج المعدن له .. ولقد جعل الله ما على الأرض زينة بها .. مصداقاً لقوله تعالى

﴿إِلَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِهَا﴾ سورة الكهف - الآية ٧

ليجذب الإنسان إلى العمل .. والزينة هي ما يخلع على ذاتيات الأشياء ليجعلها أكثر جاذبية ، فالمرأة مثلاً تتزين لتصبح أكثر جاذبية للرجل .. وزينة الأرض هي أن تصبح أكثر جاذبية للإنسان على أن يعمل .. فكان الله جعل ما على الأرض زينة لها ليجذب الإنسان إليها .. ويقول الله - سبحانه وتعالى - :

﴿وَهُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ لِهَا﴾ سورة هود - الآية ٦١

معنى استعمركم، أي طلب منكم عماراتها .. وذلك لا يأتي إلا بأمر من : أن تبقى الصالحة على صلاح لا تفسد .. وأن تصلح الفاسد وتزيد إصلاحه .. وزينة الله على الأرض من أثرين .. آثار خلق الله .. وهي الطبيعة التي وهبها الله لنا دون أن يكون لنا جهد فيها .. وأنثر ما فعله الإنسان بما علمه الله له ليزين به الأرض.

أهمية الحل الإسلامي

هذا يأتي إلى أهمية الحل الإسلامي .. وهذا يظهر في قول الله سبحانه وتعالى :

«وَسَأَلُوكُنُكَ عَنْ ذِي الْقَرْبَنِينَ، قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذَكْرًا * إِنَا مَكْنَاهُ لَهُ فِي الْأَرْضِ
وَآتَيْنَاهُ مَنْ كُلُّ شَيْءٍ سَبِيلًا * فَاتَّبِعْ سَبِيلًا» سورة الكهف - الآية ٨٣، ٨٤، ٨٥.

ويعنى ذلك أن الله أعطى لذى القرنيين أسباب القوة والحكم فى الأرض .. ولكننى لم يقتصر على ما أورتى .. لم يقف على ما فعل له .. بل اتبع سبيلا.. أى أخذ الأسباب فيما ينفعل به .. ولقد أورد الله هذه الآية الكريمة ليرينا الأسلوب الصحيح فى مواجهة الحياة .. ذلك أن الإنسان يجب ألا يكتفى بما ينفعل له ولا يفعل شيئا.. بل يجب أن يأخذ هذا العطاء ويعمل من أجل أن يضيف إليه .. وأن يتفاعل مع العناصر التى خلقها الله لتنفعل بعمل الإنسان فى الأرض وذلك مصداقا للحديث الشريف «لا خير فيمن لا يضيف» .. والاضافة بمعناها العام .. أنك إن عملت للكون ، يكون فى خدمتك ليعطيك الخير الكبير.. فلا بد أن تعطى عطاء الكون ، وإلا أصبحت الحياة جامدة وغير متحركة ولا متطرفة ..

ويتوقف تطور البشرية ونموها.. أى أن الله سبحانه وتعالى يطلب من الإنسان أن يتفاعل مع بيئته ومع الكون .. وبنهانا أن تقف أمام قطعة من الأرض ولا تفعل شيئا.. بل لا بد للإنسان أن يعرف ويدرس كيف يحرث هذه الأرض وما هي النباتات الصالحة لها ليحصل على أحسن النتائج ..

ومن هنا نصل إلى أن العالم لكي يتقدم ويعيش فى سلام وأمان.. لا بد أن يتبين القوانين التى وضعها الله سبحانه وتعالى فى هذا الكون .. وهذه القوانين متكاملة ، بمعنى أنك لا تستطيع أن تأخذ من هذه القوانين ما يعجبك وتترك منها مالا يعجبك .. فأنت فى هذه الحياة لا بد أن تتعامل مع أسباب الأرض التى تنفعل بك ، لأن فيها الرقى فى الحياة .. وهذه توفر لك التقدم والرفاهية .. وأن تتعامل مع منهج الله فى الأرض ، وهذا يوفر لك الحياة المطمئنة ويوفر لك الأمان .. ويعالج داءات الحياة والمجتمع الذى هى

آفة البشرية كلها.. فلا تخسب أن الغنى والمال وحده يستطيع أن يعطيك الازان في الحياة.. وإن كنت في شنك من ذلك فابحث عن الشواهد.. ستجد أن أعلى نسبة للانتحار والجنون موجودة في الدول المتقدمة مادياً، تلك التي تخسب أنت أن شعوبها أكثر الشعوب سعادة في الأرض.. فالسويد والولايات المتحدة مثلاً.. فيهما أعلى نسبة من الدخل للفرد.. وفيهما أيضاً أعلى نسبة من الجنون والانتحار.. ذلك لأن الحياة هناك فقدت اتزانها.. أخذت عنصر التفاعل مع مواد الأرض ففقدت.. وترك عنصر الميزان الذي وضعه الله لتأمين الحياة في الأرض فاختلت الحياة فيها.. ولم تعد هي القادرة على تكوين المجتمع الآمن المطمئن الذي وضع الله قوانينه للحياة الدنيا.

ثم بعد ذلك بعثت هذه الدول عن منهج العبادة الذي هو الأساس الذي يعطى للنفس البشرية مقوماتها الروحية.. فالإنسان إذا آمن بالآخرة وعمل لها ملائكة نفسه السكينة.. وأحس أن هناك حساباً فحاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله.. فلا يقدم على مال حرام ولا يخون الأمانة.. وي العمل في سبيل الرزق وهو يعلم أن رزقه سيأتيه.. والعمل الذي يقدمه الإنسان في سبيل رزقه هو نوع من العبادة، لأننا نطيع قوانين الله في الأرض.. ورسول الله صلى الله عليه وسلم حين وجد رجلاً معتكفاً في المسجد يصلي ليلاً نهاراً.. سأله من يكفله.. فقيل يا رسول الله الذي يكفله أخيه.. فقال صلى الله عليه وسلم : كلهم أعبد منه.

وفي نهاية حديثنا عن حتمية الحل الإسلامي نقول أن الله سبحانه وتعالى قد رسم الحياة الطيبة الآمنة لعباده وحددها لهم.. وأن هؤلاء العباد بدلاً من أن يأخذوا هذه الأسس ويطبقونها تطبيقاً عملياً وسلوكياً.. يبتعدوا عنها إلى قوانين البشر التي أساسها عدم العدل وهوى النفس.. فعم الشقاء في الكون.

ومهما طال الزمن فإن البشر سيعودون إلى قوانين الله.. ولكنهم سيعودون إليها مضطرين بعد أن تطحنتهم المشكلات والآلام.. سيعودون إليها لأنها الطريق الوحيد لخلاص الإنسانية من الشقاء الذي صنعه البشر لأنفسهم.. والله سبحانه وتعالى برحمته أراد أن يجرب عباده هذا الشقاء.. فأنزل عليهم من السماء كتاباً يهديهم إلى الطريق السوي.. ولكنهم بغرورهم البشري أعرضوا عنه، واختاروا الطريق الذي وسوس لهم به الشيطان.

على أن الله سبحانه وتعالى قبل أن ينزل آدم إلى الأرض ليباشر مهمته عليها قد أدخله التجربة.. عليه يستفيد ويعرف أين الحق وأين الخطأ.. وبين له بتجربة عملية ما هو الطيب وما هو الخبيث حتى يتتجنب الخطأ في الدنيا، ويعرف أن الشيطان عدو له.. ولكن الإنسان بما أعطاه الله من اختيار ابتعد عن الطيب و اختار الخبيث.

الفصل الثالث

أحكام المنهج الإسلامي في قضية الكويت

الإسلام لا يحمي فقير الاحتراف،
الإسلام يحمي فقير العجز الذي لا يقدر
على العمل، جعل الإسلام له حق.

محمد متولى الشعراوى

احتل العراق الكويت.. دولة مسلمة غزت دولة آمنة مسلمة.. ما
أحكام النهج الإسلامي في قضية احتلال الكويت؟ .. وما حكم استعانته
ال المسلمين بالجيوش الأجنبية والقوات الدولية للدفاع عن المقدسات
الإسلامية وحمايتها؟ .. تساؤلات تحيط عليها في هذا الفصل الذي
نختتمه بضرورة اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى فهو طريق الخلاص ثم
نورد نص البرقية المرسلة إلى صدام حسين.

ما قام به صدام حسين وجيشه عندما احتل الكويت وهدد أمنها وانتهك حرمتها
شيء مؤسف حقاً ولكنه يدل على صحة قضية الإسلام التي غابت عن هذه الأمة
ولابد أن ينشأ عن هذا الغياب مثل هذه الأزمات فلعل هذا الحديث يوقظنا وينبهنا من
غفلتنا.

الذى حدث فيه ادعاءات كثيرة.. والحق أن بعض المفكرين يتهيئون الحديث فى
هذا الموضوع.. لأن صاحب الرأى الحق قد يغضب واحداً من المتأرخين فيصبح عدواً
له.. والدول تربطها روابط بعضها البعض فوق هذه المسائل، فقد يوجد خلاف بين
دولتين ثم تقتضى الظروف بأن يتتفقا، وحين يتفق الطرفان لا يبقى عدو إلا صاحب الرأى
الحر.

إن الذى يجب أن ننتبه إليه أن الإسلام مردود إليه قهراً علينا لأن كل واحد ما
يدعى باطلًا يتمسح في الإسلام وحسبك من شرف الحق أن يدعوه المبطل.. الأمر الذى
حدث الأسف فيه ليس في أنه حدث ولكن لموافقنا من الذى حدث.
لأن الله تعالى حينما قال : «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن
بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفوي إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا
بينهما بالعدل واقسطوا إن الله يحب المقسطين» سورة الحجرات - الآية ٩ .. أجاز أن يختلف
المؤمن مع المؤمن وأنه قدر العواطف البشرية وقت الظروف الخاصة فلم يشاً أن يكتب..

ممكن نختلف ولكن إذا اختلف الاثنان لم ينزع الله عنهم لفظ الإيمان.. ولكن المطلوب أن توجد طائفة ثلاثة.. هذه الطائفة هي التي يجب أن يكون عندها العلاج.

وإذا كان الخلاف قد نشأ بين العراق والكويت كان المفروض أن طائفة ثلاثة تقف موقفاً له مراحله، مرحلة صلح أولاً، ثم مرحلة من ثأر على الصلح بأن يغى، تكون الفتنة الثالثة ضده بقتل فإذا ما انتهينا بالقتال إلى أن أنهزم الطرف الباغي، الإسلام يطلب منا إلا يجعل من هزيمته سبباً في أن تسيطر عليه ونكتبه بل نرجعه إلى الصلح مرة أخرى حتى يتم تصفية المسائل الخلافية تصفية عادلة، لأن الذي يغى كانت له شرامة القوة والجهن على عليه كان ضعيفاً، والفتنة الثالثة دخلت لتوقف الفتنة الباغية عن هذا البغي، لا لتخذلها عدواً وعندما تهدأ شرامة البغي ويقوى الضعيف لا بد من الصلح بينهما.

والعجب أن الفتنة الثالثة لم يجدوها لأنها اختلفت على نفسها، بعضها تخير، وبعضها امتنع، وبعضها تحفظ، وبعضها لم يحضر، فبقيت من الفتنة الثالثة فئة أسأل الله أن يجعل على يديها الحق لتقف الموقف الإيماني.

لقد رأينا من مصر، موقفاً - أنا أعتقد غير مجامل لأحد - إنه موقف إيماني حقيقي وكذلك الدول التي أيدتها.

الأمر الذي يجب أن تتبه إليه أنهم دخلوا الإسلام ليبرروا به أشياء تخدم أهدافاً وأهواء بعيدة عن قضية الإسلام.

إننا لا نريد أن ندخل في مسألة السؤال، من الذي ينادي الآن بالإسلام، هل دين الإسلام اعتداء؟.. هل كانوا على منطق الإسلام ومنهج الإسلام في شيء من الأشياء؟ فإن كانوا قد أثاروا هذه المسألة وهي لم المسائل كلها، لا يختلف أحد في أن العراق اعتد على الكويت، ولا يختلف أحد أن ذلك ضد المحاكمين والأسرة المحاكمة، ضد الشعوب نفسها، ضد الشعب لأن كون أحد يأتي من الخارج لكي يخلصني من

حاكم أنا كنت مرتضيه ولم أناهضه ولم أخرج عليه، هذا يعطي سمعها للشعب في أنها رضيت بباطل لم يرفعه إلا غيرها، وهذه حاجة الشعب. يصبح أنها هي التي تقف، وليس الحكم، لأن الحكم يتغير كل ساعة، إنما هذا سمعها من الشعب في أنها تظل ساكتة على ظلم أو على بغي إلى أن يأتي أحد من الخارج ليخلصها من هذا الباطل.

إذن المسألة لم تكن مسألة أسر، فإذا قيل أن الحق سبحانه وتعالى حينما افترض أن يوجد خلاف بين مؤمنين افترض الفئة الثالثة والخطر ليس في أن يكون الخلاف بين فئتين، الخطير في أن تغيب الفئة الثالثة.

هنا كل مؤمن بالله يتمسك بالإسلام، حتى الذين اعتدوا يتمسكون بالإسلام وبعد ذلك يقال له من الذي دعاك أن تتمسك بالإسلام، لاشك أن رأيتك صحوة إسلامية وغبطة حتى من غير المسلم، هو يريد أن يدخل من الغبطة من غير المسلمين لكي يوجد تواجد ضد منطقة إسلامية وهذه النقطة التي يمسكها علينا.. نقول أننا نبحث في المسائل، الإسلام جاء لا ليهدم ما سبق كله ولكن ليهدم الباطل فيما سبق الجاهلية، لكن الشيء والحق والصحيح في الجاهلية أقره، لأن الإسلام جاء ليوافق الحق أقره على جاهلية.

حكم الإسلام في الاستعاة بغير المسلم

وعند النظر في الاستعاة بغير المسلم يكون حجتنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتصرفاته، فرسول الله هو الداعي إلى الله والمبلغ لمنهجه، هو أول واحد ينفذ حينما هاجر إلى الطائف ليتمس نصيبيه ثم عاد إلى مكة، أوجد أحداً يجيره؟ لم يوجد أحداً، فاستجار بكافر وهو المطعم بن عدى وأجاره المطعم ووقف موقف الرجلة الإنسانية، ولم يعتقد عليه، ولذلك قال له خصوم رسول الله : أنت مجير له أم تابع؟ قال : أنا مجير.. قالوا : رضينا بجوارك ولن نعتدي عليك، إذن فرسول الله حين اضطرته الظروف دخل في جوهر كافر.

وعندما لم تكن عند رسول - صلى الله عليه وسلم - عدة للقتال استعان
بصفوان ابن أمية الكافر.

وحيثما أراد أن يهاجر استعان بدليل يدله على الطريق وهو ابن قريقط الكافر أيضاً.
إذن تقدير المسألة تقدير موقفى، فلو أن الطائفة الثالثة قامت ولم تخوجنا إلى دولة
من الدول كان خيراً لكي ترد الظالم على ظلمه والباغى على بغيه.

والذين يشجعون تدخل الدول الأجنبية والاستعانت بها ويقولون أنه لا يحق
الاستعانت بدول كافرة - كما يقولون - سوف نناقش الأمر معهم من الرواية السياسية
ونقول لهم : أنتم الآن تشجعون أي تدخل من دولة أجنبية في مسألة إسلامية.. ولكن
ما الذى دفع المسلمين إلى الاستعانت بتدخل الدول الأجنبية.. لقد جاء هذا التدخل من
أننا المسلمين ارتبطنا مع العالم الخارجي غير المسلم في منظمات دولية لها قوانين
تحكمها، لذلك يجتىء الشجب والرفض لا معنى له لأن الذين يرفضون الآن، لماذا لم
يرفضوا الانضمام إلى عضوية هذه المنظمات، ولماذا قبلوا وأقروا أنها جميعاً أعضاء فيها
وارتضوا أحكامها وأهدافها، فهذه المنظمات تقف بجانب المظلوم حتى يحصل على
حقه.

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أدى هذا الحق قدماً حينما قال : لقد
شاهدت في دار عبد الله بن جدعان حلف القضول، شاركت في حلف القضول -
وحلف القضول جماعة بعد ما شقت الجزيرة العربية بحرف الفجرا وقف القاضي محمد
بن عبد المطلب وهو عم الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - وساعدته هاشم وبنو
زهره وبنو أسد على العهد لنصرة المظلوم حتى يرد إليه حقه.. وقال رسول الله قوله
التي تضع الحق في نصايحه لقد شاهدت في دار بن جدعان حلفاً ما يسرني به حمر النعم
ولو دعيت إليه في الإسلام لأجبرت إذن رسول الله أفر فعل هذا الفعل وهو أن يتجمع

الناس على الظالم ويقفوا مع المظلوم حتى يردوا إليه حقه - ورسول الله لم يستعن فقط
ـ فإذا انتصر جمعوا نصيباً من ماله للذى ساعده ولو كان كافرا.

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى أسرى بدر جاء له ابن مطعم بن عدى
الذى أجار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكانت له دالة بسبب موقف أبيه مع
رسول الله فذهب ليستشفع فى أن يطلق أسرى بدر من الكفار، فماذا قال الرسول -
ـ صلى الله عليه وسلم - ؟ قال له : لو كان أبو صهر بن جدعان أو مطعم بن عدى -
أبو الذى يستشفع - حياً فاستوهبهم لوهبته لهم، إذاً الذين يت Sheldonون بالإسلام بأن هذه
المسألة ضد الإسلام، نقول لهم راجعوا النفس، إن كنت شجعت أولاً أن يوجد اتحاد بيننا
مع هذه الدول فى أن أى مظلوم نقف معه إلى أن تأخذ له حقه كان من حقك
الشجب والرفض ولكنك واقت على المبدأ.

رفع صدام حسين - من بين ما رفع من شعارات - قوله أنه ارتكب عدوانه على
الكويت من أجل إعادة توزيع ثروات الوطن العربى بحاله.. نقول له : ليس هذا هو المبر
الوحيد الذى يمنح الحق فى الاعتداء على دولة مسلمة.. ثم أن صدام حسين كل
يوم يخرج علينا بمبرر جديد لما فعل وهذا يدل على اضطراب فى مبرراته، كل يوم له
مبرر.. أول مبرر، قال الذى أساند حكومة وطنية قامت بالانقلاب ودير هو نفسه حكومة
من عنده، ثم قال : أنا لي حق تاريخي فى الكويت، ثم جاء بحكاية توزيع الثروات،
نقول لصدام : إن كان لك حق تاريخي - كما تقول - مع إيران وطلت العرب بينما كما
8 سنوات، وانفق فيها ما أنفق، وأهدر فيها ما أهدر، ثم تنازلت عن كل هذا، وهذا هو
الأمل الوحيد الذى يجعلنا نشعر بالتفاؤل وكما تركت الحق المشروع لك - كما قلت
فى إيران - عليك أن تترك الحق المدعى وليس الحق المشروع فى الكويت خاصة أنك
تقوم أنك تنسب إلى أهل بيت رسول الله !!.

وموضوع توزيع الثروات.. أنت تريد توزيع الثروة الحديثة وهي البترول.. دعني أأسأك سؤالاً.. ماذا صنعت أنت بثروة البترول في أمة الإسلام.. وهل قمت بتوزيع ثرواتك البترولية على المسلمين المحتاجين إليها ؟ لو كنت بدأت بنفسك كان يصبح لك حق في أن تنادي بتوزيع الثروات أو إعادة توزيع الثروات.

هذه الثروات لأهل المنطقة.. ثروة الكويت.. هل اشتكي أحد من أهل الكويت.. أم أنهم كانوا يعيشون عيشة حسدهم عليها، عيشة ترف واطمئنان.. إذن لم يشتك أحد لصدام ومسألة الثروات تعنى في الواقع أنها فكرة حقد، لأن الله سبحانه وتعالى جعل لكل مكاناً رزقاً قبل أن يخلق الخلق، نحن أخذنا مياه النيل وكانت الكويت وال سعودية صحراء، كنا عندما نذهب إلى السعودية نأخذ معنا كل شيء من إبرة الخياطة إلى الطعام والمأكولات والأأن أصبحنا نأتي بمترفات حياتنا من هناك.

من هنا يتضح أن الذي كان متوفاً في الماضي والذي كان في شطف في الماضي لم يطلب توزيع الثروة لم يحدث، لأن الله سبحانه وتعالى جعل له موسم في الحياة. وإذا نظرنا إلى الواقع نجد أن موضوع توزيع الثروات مسألة حقدية.

وإذا نظرنا إلى الإسلام نجد أنه لا يحمي فقير الاحتراف، الإسلام يحمي فقير العجر الذي لا يقدر على العمل، جعل الإسلام له حق، إذا لم يحصل عليه من الناس، الدولة تأخذ له هذا الحق منهم، وإذا كان صدام يقول أنه اغتصب الكويت من أجل عدالة المجتمع، فقد أخذوا خير الشعب وامتصروا دمها وعاشوا في ترف، وعندما تسألهם، يقولون لا بد أن نعيش في ترف حتى نستطيع أن نفك للناس الفقراء ولذلك عندما سئلت عن الشيوعية وأنا في بروكسل قلت : إن الشيوعية تلخص إلى ثراء يحرسه غباء الفقراء !! كل دعوه من هذه الدعاوى صاحبها هو الذي يكون وليس الناس.

إذن العدالة الاجتماعية في الإسلام.. كل قادر يعمل على قدر طاقته، لا على قدر حاجته، فإذا أخذ حاجته ويتركباقي لمن لا يقدر.

اللّجوء إلّى الله .. طریق الخلاص

إن طریق الخلاص من هذه الأزمة التي ألمت بالأمة العربية والأمة الإسلامية، أن تلجأ إلى الله جمیعاً بصدق، لأن ربنا أعطانا مذهباً قال «إذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً» سورة يونس - الآية ١٢ .. ونعود بالله عندما يكشف عننا الضر إلا نعود إلى الله، قال «فلولا إذ جاءهم بأمساكنا تضرعوا» سورة الانعام - الآية ٤٣ .. يجب أن تعرف أن الإنسان ليس له من دون الله كاشف ولنجاً إلا الله.

ربنا أعطانا في أصل الحياة - وهي المياه عندما تجف علينا - أن تتضرع إلى الله تستسقى .. وإذا كنا بهذه الحالة علينا أن تتضرع إلى الله، ومع ذلك نصنع أسبابنا ولا نفهم أن الأسباب هي التي ستعطينا بل لابد من معونة المسبب.

برقية الشيخ الشعراوى إلى
صدام حسين
بعد احتلاله الكويت
و قبل بداية عملية تحريرها

بعث فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ببرقية إلى الرئيس العراقى صدام حسين
بمناسبة انعقاد المؤتمر الإسلامى العالمى الذى عقدته رابطة العالم الإسلامى بمكة
المكرمة.

«الأخ صدام حسين رئيس الجمهورية العراقية
السلام عليكم ورحمة الله وبعد
فلا أزال أطمع منك فى خير وكما تنازلت عن حبك فى إيران أدعوك أن
تنسامى وتتنازل عن غير حبك فى الكويت.
وأنا لا أرد عليك نسبتك إلى البيت النبوى فالمؤمنون مأمونون على أنسابهم،
ولكن الأخيار من سلاله الأطهار يصعدون الخير ولا يصعدون الشر، فأشحوه يوسف بذاتها
يقول لهم (اقتلو يوسف) ثم انتهوا إلى (وأنقوه فى غيابة الجب) وتمنوا مع ذلك التخفيف
بأن ينجيه أحد السيارات، وبذلك تدللون من يشك فى ذلك صدق نسبكم.
والله أسأل أن يجتب ب موقفك العالم كله شر ما يحتمل وما لا يحتمل.

محمد متولى الشعراوى

* لوجهة المخاوب صدام حسين مع برقية الشيخ الشعراوى ونداء المسلمين له من كل مكان
لغضب المنطقة الخراب والدمار والخسائر المالية الفادحة وحمى نفسه من الذل الذى
يتعرض له كل لحظة بعد أن خسر كل شيء وتسرب في كوارث لا يعلم مداها إلا
الله.

الفصل الرابع

المعصية والتوبة وفلسفة الرحمة الإلهية

الكافر يريد الخير العاجل .. ومن هنا فهو
يفعل أي شيء .. ليحصل على خير الدنيا
دون أن يعمل حساباً للآخرة.

محمد متولى الشعراوى

الله غنى عن العالمين.. والخلق هم المحتاجون لله سبحانه وتعالى
وهم مأمورون لتنفيذ أوامره.. وأليس يعلم على إبعاد العباد عن تنفيذ
أوامر الله.. أى غوايتم شدهم إلى طريق المعصية.. ومنهج أليس هو أن
يمنع الفرد من أن يعمل لأنحرته.. ويريد إهلاك العاصي ومن رحمة الله
 سبحانه وتعالى أنه حذرنا من أليس ودعانا إلى انتقاء وسوساته.. ورغم
المعصية الإنسانية التكروة فإن الله - سبحانه وتعالى - رحيم بشرط أن
يكون في نفس العاصي ندم آدم.

ورغم التحذير الرباني فإن فرعون موجود بيننا وقصته تكرر كل

يوم ..

هذا ما ناقشه بالتفصيل في هذا الفصل.

شاء الله سبحانه وتعالى أن يجعل العقل البشري مفرداً بأن يرى الحضارات.. أى
أن الإنسان هو الكائن الذي يستطيع أن يبدأ من حيث انتهى أبواه وأجداده.. فلت
تستطيع أن تعلم ابنك ما وصلت إليه من قمة العلم.. وهو يزيد عليه.. وهكذا تنتقل
الحضارة الإنسانية من جيل إلى جيل، مستواعدة الماضي مضيفة إليه من الحاضر لتحقق
إلى المستقبل.

وهذه الخاصية قد وضعها الله سبحانه وتعالى في العقل البشري ل يستطيع أن
يتقدم.. وأن يكون معداً عندما يكشف الله آياته في الأرض فيستوعبها.. ولو لا تلك
الوراثة الحضارية لبقى الإنسان الأول على ما هو عليه.. ولما تقدمت الدنيا كلها.

ولكن وراثة الحضارة التي وضعها الله سبحانه وتعالى في العقل البشري وحده قد
جعلته يستطيع أن يحقق هذا التقدم العلمي الهائل.. فإذا قال لك أحدهم مزهوا بما
حققه الإنسان من العلم الذي أباحه له الله في الأرض.. فقل له لا تزه بنفسك ولا

بالبشر جمِيعاً.. بل ارجع الفضل إلى الله.. واسجد له واسكره.. لأنَّه هو الذي اختص عقلك البشري دون سائر المخلوقات.. لروأة الحضارة والعلم.. ولو كان لك عقل كالقرد مثلاً.. لبقيت على حالتك بالنسبة للحياة الأولى.. ولما استطعت أن تتقدُّم خطوة واحدة في سبيل الحضارة.. وأنَّ تصل إلى هذا العلم الذي أباحه لك فالفضل أولاً في كل تقدُّم بشري هو لله سبحانه وتعالى الذي أعطى العقل البشري خاصية التقدُّم بِأنْ جعله يستطيع أن يرث الحضارة.. وإذا أردنا أن نسجد شكرًا للنعم التي أباحها الكشف العلمي والتقدُّم التكنولوجي.. فإنَّا يجب أن نسجد أولاً لله سبحانه وتعالى.. الذي وهبنا نعمة العقل.. الذي يمكن أن يتحقق هذا.. واحتسبنا بالقدرة على استيعاب التقدُّم العلمي.

على أنَّى أختلف مع الذين يربطون بين أوامر الله وبين المظاهر الدنيوية.. فيأتي بعض الناس ليقول لك أن الصلاة نوع من الرياضة.. وأنا أقول لا.. إنها طاعة لأمر الله.. ولو كانت نوعاً من الرياضة للعبنا الرياضة وتركنا الصلاة.. وبعض الناس يقول أن الصوم هو الإنسان الجائع^٥ وأنا أقول لا.. إنه طاعة لأمر الله.

إنَّ الخلق^٦ هم المحتاجون^٧ لله سبحانه وتعالى ولتنفيذ أوامر الله سبحانه وتعالى.. والله غنى عن العالمين.. ^{وَسَعْيَهُمْ أَنَّهُمْ غَنِيُّونَ} أي غنى عن كل ما خلقه من أنس وجان وملائكة وأرض وسمارات وكل خلق له.. فمن هذه النقطة.. نقطة العزة استطاع أبلیس أن ينخدع بقسمه ليقول لله سبحانه وتعالى بعدم حاجتك إلى هؤلاء جمِيعاً.. وإلى خلقهم وأرزاقهم إلى يوم القيمة سأقوم بإغواهم.

والغواية هي إبعاد الناس عن طريق الله.. وتزيين الباطل لهم، فالمنهج في أن تفعل ولا تفعل أي يريد الخير للإنسان.. ولكن مفهوم الخير يختلف عند البشر.. فهناك خير عاجل.. وخير آجل.. ولنقرب هذه النقطة إلى الأذهان.. هب أن هناك طالبين.. أحدهما يقوم بالذاكرة والآخر يقضى نهاره في اللعب.. كلامهما يرى الخير لنفسه.. ولكن النظرة إلى الخير هي التي تختلف.. فال الأول يرى أن الخير في الذاكرة والتحصيل ليحصل

على مستقبل أفضل فهو يريد الخير الأجل.. والثاني يريد أن يمتهنها في كل يوم تعيشه.. ثم بعد ذلك يجد نفسه مشرداً أو سارقاً ليحصل على رزقه.. هذا هو الفرق بين الاثنين.. والفرق في النظرة إلى الخير.

المؤمن يتنظر إلى الخير على أساس الدنيا والآخرة.. فهو يريد أن يحقق خيراً في الاثنين معاً.. ومن هنا فإن أي شيء يائمه في الدنيا يمنع عنه خير الآخرة فهو مرفوض.. والكافر يريد الخير العاجل.. ومن هنا فهو يفعل أي شيء.. ليحصل على خير الدنيا دون أن يعمل حساباً للأخرفة فإذا استطاع أن يحصل على المال من أي طريق حرام أسرع إليه.. وإذا استطاع أن يحصل على المتعة من غير حلال أسرع إليها.. ثم يأتي الموت فيجد كل منهما ما قدمه.. الأول قدم الخير للأخرفة.. فيجد خيراً.. والثاني لم يقدم شيئاً للأخرفة فيجد الجزاء.

إذن.. فمنهج أبليس أن يمنعك أن تفعل شيئاً لأخرتك.. ومن هنا فهو يربى لك الحياة الدنيا.. بما فيها من متع مادية ويحاول أن ينسيك الآخرة بما فيها من نعيم دائم.. وهذه هي الغاية تتم بقسم أبليس «بعرتك» وهو يدخل من باب استغنان الله عن كل خلقه.. فلو أراد الله سبحانه وتعالى خلقه جميعاً مهديين إلى الصراط المستقيم، لما استطاع الشيطان أن يتقدم منهم.. ولما استطاع أن يغويهم.. ولذلك استثنى وقال: إلا عبادك منهم المخلصين.

ثم ننظر بامان في المعصية.. ويمضي أبليس في إمعانه فيقول «ثُمَّ لَا تَنْهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ.. وَمِنْ خَلْفِهِمْ.. وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ.. وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ» سورة الاعراف - الآية ١٧.

إذن أبليس قال لأنبيائهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائليم.. ولم يذكر شيئاً عن الجهنمين الباقتين من فوقهم ومن تحتهم.. رغم أنهما من الجهات الست المعروفة.. ذلك لأنه يعلم جيداً ما فوق الإنسان يمثل الفوقة الإلهية.. ومكان سجود الإنسان موضع قدميه يمثل مكان العبودية.. ولا يتأتى للشيطان

أبداً أن يعيش في مستوى علو إلهي فوقى.. ولا في مستوى حتى يمثل مكان السجود والعبودية.

إذن انتهت الجهات المست.. ولم يستطع البليس أن يدعى أنه سيأتي من مكان فوقى.. أو من مكان حتى هو مكان السجود والعبادة.. والعجيب أنت إذا نظرت إلى نظريات الإلحاد في كل عصر.. يجدنا من هذه الجهات الأربع يقول لك هذا تقدمي.. أو رجعى أى خلفى يريد العودة إلى الوراء.. أو يمكى.. أو يسارى.. تلك هى نظريات الإلحاد الأربع التي يأتي منها البليس.. ولكننا لستا في واحدة من هؤلاء.. لستا تقدميين ندعو إلى التحلل والإلحاد والإباحية.. ولستا رجعيين نسير على ما وجدنا عليه آباءنا.. ولستا يمكينيين على عرف العصر.. ولا نحن يساريين على عرف العصر أيضاً.. وإنما نحن أمة محمدية فوقة.. كل أمرنا يأتي من السماء.. ولذلك فإنك إذا خضعت إلى حكم الله سبحانه وتعالى.. فاعلم أنت غير خاضع لمساويك.. ولا أنت ذليل لخلق مثلك.. بل أنت خاضع للذى هو أعلى منك.. والذى تخضع له من المخلوقات طوعاً في الحياة الدنيا.. وكرها في الآخرة.

وأنت في ذلك مساو لأعلى خلق الله في الأرض فهو خاضع لله.. وأنت خاضع لله.. وهو مطلوب منه أن يطبق منهجه الله.. وأنت مطلوب منه أن تطبق منهجه الله.. إذن لا ذلة هنا أبداً.. بل أنت مساو لأكبر خلق الله في الدنيا.. وربما أنت أفضل منه في طاعة الله.

والشيطان يريد المعصية ويريد إهلاك العاصي في نفس الوقت.. ذلك أنه يحس بعداوة رهيبة للإنسان.. فهو يعتقد أن الإنسان كان سبب طرده من الجنة.. وسبب لعنة الله له في الدنيا والآخرة.. كل هذه الأشياء قد خلقت بخضاً رهيباً في الشيطان للإنسان.. ولذلك فهو يغري ليهلكه.. يزين له أن يفعل.. فإذا فعل يهرب الشيطان بعد أن أوقعه في المعصية.. ويرتكبه لأسوأ جراء في الدنيا والآخرة.

ولقد كان من رحمة الله سبحانه وتعالى أن أخبرنا بذلك لنتخذ حذرنا.. ونتفى وسوسه الشيطان.. وأعطانا التجربة المادية لأدم.. لتعلم أن وسوسه الشيطان وهم من الغرور.. وتربيمن للباطل.. وأن الإنسان لن يحصل على شيء من هذا كله.. ولذلك فإن معصية الشيطان تختلف عن النفس الامارة بالسوء.. فالنفس الامارة بالسوء إذا أرادت المعصية أصرت عليها وألحت حتى يقوم صاحبها بارتكابها.. وهي نفس المعصية لا تتغير ولا تتبدل.. ولكن إغواء الشيطان يختلف عن ذلك.. إذ أنه يريد المعصية لخمرد المعصية.. فإذا وجد إنساناً قريراً في ناحية من النواحي اتجه إلى ناحية لاتية.. لأنه لا يريد هذا اللون من المعصية فقط.. ولكنه يريد المؤمن عاصياً على أي شكل من الأشكال.. فإذا اعزر عليه باب.. يطرق باباً آخر.. وهكذا يظل يحوم حول النفس المؤمنة اغراء من كل ناحية.. حتى تسقط النفس في معصية من المعاصي.. ولقد كانت رحمة الله بالمؤمن أن دله على طرق الشيطان في كل ناحية من النواحي.. ودله على الطريقة التي يقى نفسه منها.

ويجب أن تعلم أن الله سبحانه وتعالى.. إذا كان يريدنا بلا معارض ولا موسوس.. فهو قادر على ذلك.. واذ كان يريدنا أن تكون مقهورين على الطاعة.. فهو قادر على ذلك.. ولكنه يريدنا أن نأتي إليه باختيارنا.. وأن نعبده اختياراً من أنفسنا.. وليس قهراً منها.. ومن هنا لا بد أن يكون هناك الإيمان والمعصية.. هذا له حلاؤه.. وهذا له إغراء عاجل ليتم الاختيار عن حقيقة واقعة.. ولن يكون هذا الاختيار هو الطريق إلى الجنة.. وإلى الحياة الطيبة في الدنيا.. إنما هو ضرورة لازمة للطاعة.. فلو أنها ليست موجودة لكان الإنسان مقهوراً على الطاعة.. ليس له طريق غيرها.. وانتفت بذلك كل الحكمة من الجزاء والعقاب.. وانتفت حكمة خلق الحياة.. والدنيا والآخرة.

والله سبحانه وتعالى كان رحيمًا بنا في التجربة.. فهو لم يخلقنا ليلقى بنا إليها دون أي تدريب سابق.. بل خلقنا ودرينا وأفهمنا ماذا سيحدث.. فالشيطان عصى الله أمام آدم.. ثم توعد آدم.. والله سبحانه وتعالى نهى آدم عن الأكل من الشجرة.. وقال

لآدم التي حرمتها انها تهلكك وتضررك.. وجاء الشيطان بمنطق الكذب.. فقال أن هذه الشجرة تمثل الخلود.. وملك لا يمل.. وأن الله سبحانه وتعالى منعك عن الأكل منها.. لأنه لا يريد أن تصبح ملكاً أو خالداً.. كان هناك قول الله الحق.. وكان هناك هناك قول الشيطان الذي لا يحمل إلا الكذب.. وعدم الصدق.. ومع ذلك ضعف آدم أمام رغبته في الخلود.. وضعف أمام رغبته في الامتلاك.. مع أنه كان يعيش في تلك الجنة يذهب إلى المكان الذي يريد.. ويجد رزقه وقتما يريد.. وعندما يشعري.. أى لا يحتاج لشيء أكثر مما وفره الله له.. إلا أن الطمع البشري بلا حدود.. هذا الطمع الذي يسبب الكوارث والمحروب يجعل الدول تقفر فوق بعضها.. ورغم أن الله سبحانه وتعالى قد وفر لآدم الاستمتاع البشري.. فقد بقى الطمع في نفسه.. واستطاع الشيطان أن يدخل إليه من هذه الناحية.

التجربة كانت فيها معصية من آدم.. لأن الله سبحانه وتعالى كرمه.. ولكن نفس آدم أساءت الظن بالله.. لأن الله سبحانه وتعالى وفر له سبل الحياة بلا عناء ولا تعب.. ولكنه أراد أن يزداد من ذاتيه.. كان هناك من يملك شيئاً.. وأنه حين حرم الله عليه الشجرة حرمتها لأنه يعلم أنها ضارة به.. تشقي.. ولكن آدم لم يفطن لهذا.. ولم يفطن أن تكريمه الله بالنسبة له بهذه الشجرة.. لابد أن يحمل خيراً له.. لأن الله سبحانه وتعالى حين خلقه من طين أمر من هم أعلى منه خلقاً.. الملائكة والجاتن وهم مخلوقات من نار.. ومن نور.. أن يسجدوا له.. وفي هذا تكريمه كان يجب أن يتلفت إليه آدم.. فيعلم أن ربه الذي كرمه بأن يسجد له من هم أعلى منه خلقاً.. لا يمكن أن يريد به السوء.. بل لابد أن يريد به خيراً.. وإلا فلماذا كرمه.

لتعلم أن الله سبحانه وتعالى كرمنا وفضلنا على خلقه.. ولا يمكن أن يكون هذا التكريم لأن الله يكرهنا بل لأن الله يحبنا.. ويريد لنا الخير.. ونقبل على منهج الله من منطق هذه النقطة.

وهكذا كانت التجربة الواقع.. قبل أن ينزل آدم إلى الأرض.. الله سبحانه وتعالى أطهه أمراً.. والشيطان أغراه على معصيته.. وظهر أن أمر الله هو الخير.. وأن وسومة الشيطان كلها كذب وخداع وأغراء بلا حقيقة.

وكان الله رحيمًا أن اعطانا هذه التجربة.. وذكرنا بها في قرآن الكريم.. علنا نفيق ونعرف الحقيقة.. وتعلم أن الله سبحانه وتعالى يريد بنا الخير.. ولا يريد لنا الشر ولا العذاب أبداً.. وإننا إذا أحبينا الله أحبنا ودافع عنا..

وامتدت رحمة الله إلى الإنسان في الأرض.. ثم علمه كلمات يترب عليه بها.. ويمحو له الذنب.. ويغفر الخطايا.. بشرط أن يكون في النفس البشرية ندم آدم.. ولا يكون فيها استكبار أليس.. وقال إذا ضعفت نفسك فاستعد بي من الشيطان.. وإنك أعيذك منه.. وقال قبل أن تقبل على أي عمل.. أقبل عليه بقولك بسم الله.. ذلك إنك لا تبدأ باسم الله إلا إذا كان العمل الذي تعمله خيراً.. فائز تستحق أن تبدأ معصية باسم الله.. وعلمنا أن نقول بسم الله الرحمن الرحيم.. لأن الله سبحانه وتعالى قد خلق لنا الرحمة.. وأنت حينما تعمل أي عمل.. وفي بالك الله سبحانه وتعالى.. فإنه سيعطيك العطاء في الدنيا.. والثواب في الآخرة.. وإليك أن تستحق أن كنت عاصياً لله.. أن تستفتح أعمالك باسم الله.. لأن الله سبحانه وتعالى لا يعرف الحقد.. ولا يتغير على خلقه.. فانت إذا عصيته.. لا يتغير ويقول.. أنا سأطرد هذا العبد.. ولن أقبل منه شيئاً.. بل انه بمجرد أن تقول بسم الله الرحمن الرحيم.. وتقبل على الله.. يقبل الله عليك.

ويأتي الله سبحانه وتعالى إلى العاصي فلا يأخذه مرة واحدة.. وإنما يأخذه بعذاب محدود صغير.. فيشكو إلى الله سبحانه وتعالى.. ويرفع يديه إلى السماء.. ويصبح يارب.. فينجيه الله.. وبمجرد أن يحس الإنسان ببعد الخطر عنه يعود مرة أخرى إلى الذنب.. بل ربما عاد إلى ما هو أكبر منه.. ناسياً أو متناسياً.. أنه كان يمر بضر أو بشدة أو بضيق وأنه رفع يديه إلى السماء وقال يارب.. وكان عدلاً إلا تتفتح أبواب السماء ل العاص.. ولا ينفد

منها الدعاء الذي قيل يلسان لا يذكر الله.. كان ذلك عدلا.. ولكن رحمة الله سبقت.. فالفتح أبواب السماء.. واستجيب الدعاء.. وكشف الله الضر.. وبمجرد أن أحس الإنسان أنه قد هجا.. عاد إلى كفره.. فيعود الله سبحانه وتعالى ليدكره به.. ويقول له أفق انك تهلك نفسك.. من يبارز وأنت لا قدرة لك.. وأنا وحدى القادر.. ولكن الغرور يركب الإنسان.. فيهمله الله ثم يذكره بقدرته عليه.. فيفتح الله ياباً صغيراً من الشدة أو الغضب فيجأر للسماء.. ويرفع يديه ويصبح يارب ويكون عدلاً من الله سبحانه وتعالى إلا يقبل.. ويكون عدلاً إلا تفتح أبواب السماء.. ولكن رحمة الله تتدخل وترفع الشدة وتزيل الكرب.. فإذا أحس الإنسان أنه هجا.. عاد إلى كفره.. إلى أن يفتح الله عليه ياباً من الشدة أو العذاب لا يغلق أبداً.. لأنه صمم على الكفر.. رغم أن الله أراد رحمته مرات ومرات.. وأزال عنه الكرب المرة تلو المرة.

وإذا عدنا إلى قصة موسى عليه السلام نجد أن الله سبحانه وتعالى أخذ فرعون بالقول اللين أولاً.. فقال الله لموسى وهارون «اذهبا إلى فرعون انه طغى * فقولا له قولنا، لعله يتذكر أو يخشى» سورة طه - الآية ٤٣ ، ٤٤ .

قال موسى القول اللين لفرعون، فلم يرتدع.. وزاده القول اللين طغياناً.. وحاول أن يبارز موسى بالسحره.. فأبطل الله خداع السحر وكان السحرة أول المؤمنين وكانت هذه معجزة كافية لأن يؤمن فرعون بعد أن سجد السحرة لرب موسى.. وازداد فرعون طغياناً فأمر بقتل السحرة.. وكلما جاء موسى بآية أنكرها.. ثم أمر بتذبح أولادهم واستحياء نسائهم.. وبدأ الله سبحانه وتعالى بعد كل الآيات التي أيد بها موسى.. يبدأ الله يذكر فرعون بقدرته مباشرة.. بدون رسول.. فسلط على قوم فرعون الدم والضفادع والقمل.. وفي كل مرة تحدث فيها آية من هذه الآيات التي تحمل العذاب الأصغر.. بدلاً من أن يؤمن فرعون.. ويذكر قدرة الله ويتوسل إليه ويعرف أن الله فعال لما يريد، يأتي إلى موسى ويقول له أدع لنا ربك ينزل علينا هذا ونحن نؤمن فيدعوه موسى ربـه..

فيزيل العذاب فيزداد فرعون كفرا فتأتى آية أخرى .. تذكر بالأولى وبقدرة الله .. وبأن الله سبحانه وتعالى له ملك السمارات والأرض .. أى الله يملك القوة لتحقيق ما فى قدرته .. لكن فرعون أصر على الكفر والمعصية .. والاصرار على الكفر والمعصية لا يحدهما الله . وقصة فرعون هذه ليست غريبة عن حياتنا .. فالله سبحانه وتعالى يأتى لكل عبد من عباده الكافرين ليذكره به .. فيتجه بالدعاء إلى الله وقت المحن .. ثم تزول المحن فينسى .. وهكذا حتى يفتح الله عليه باب ذا عذاب شديد .. حينئذ يذكر الله .. ولكن بعد فوات الآوان .. ففرعون حينما كان يغرق في البحر أعلن إيمانه .. ولكن الوقت كان قد فات .. لأن الله فتح عليه من أبواب الرحمة والتوبه .. وأراه من الآيات .. ما كان يجب أن يجعله مؤمنا .. شديد الإيمان ولكنه أصر على الكفر .. ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى يذكرنا بذلك .. وبأن الاصرار ليس من صفات المؤمنين ولكنه من صفات العصاة الكافرين فيقول :

«والذين إذا فعلوا فاحشة، أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله لاستغفروا للذنب لهم» سورة

آل عمران - الآية ١٣٥ .

الفصل الخامس

الله موجود عندما تعجز الأسباب

ما من أمة عبَّدت الفرد إلا وانتشر فيها
الظلم وعم فيها الإرهاب، وضاع فيها
الحق واستعبد الإنسان، والله قد شدد
العذاب على أولئك الذين يعاونون هذا
الحاكم ويفعلون له ما تهوى نفسه
ويغضبون الله.

محمد متولى الشعراوى

الله خالق الأسباب وهو قادر على قطعها وتعطيل تفاعلها وعملها
وقدرة الله مطلقة لا ترتبط بأسباب..

تفاعل الأسباب تحكمه إرادة الله وليس بهم أي عن مشيته وما قدره
سلفاً..

الماديون يقيرون علاقتين وشيخجهة بين الأفعال والنتائج وبين المسبب
والسبب دون اعتراف بفصل أيهما عن الآخر.
لا تعارض بين السعي في الرزق كسبب وبين قدرة الله المطلقة في
منح الرزق..

ما أكثر الذين تدفقت عليهم نعم الله دون مشقة أو سعي أو
ابتغاء.. وما أكثر الذين انقطعت عنهم هذه النعم واستحالوا عليهم مع ما
بذلوا في طلبها وابتغائها من جهد ومشاق.
قضايا حية وحساسة يقدمها هذا الفصل.

الله سبحانه وتعالى خلق ما في الأرض جميعاً وخلق لها الأسباب التي تتفاعل
بها، والقوانين التي تحكمها، والله سبحانه وتعالى حين قال «كن» خلق في نفس
اللحظة، ولكن الأسباب تفاعلت في السموات والأرض في ستة أيام، وهي في ستة أيام
كأيام البشر لأن القرآن يخاطب الإنسان، ومن هنا فإن كل ما يتحدث عنه موجه إلى
القدر البشري والعقل البشري، سواء أكان ذلك حاضراً أم مستقبلاً مما يخفى على
عقولنا الآن.

ولكن هذه القوانين والأسباب لا يمكن أن تكون قيداً على طلاقة القدرة، ذلك
لأن الله سبحانه وتعالى لو قضى بالأسباب وحدتها في الأرض، لعبد الناس الأسباب،
ونسوا المسبب أو المخالق، لذلك يقيس طلاقة القدرة لتلتفت الناس إلى أن الذي خلق
الأسباب لا تقيده هذه الأسباب.. وأنه يفعل ما يشاء، عندما يشاء، ومتى يشاء، لذلك

تجد إنساناً يكدر ويكتح كثيراً، ومع ذلك فهو ضيق الرزق، وإنساناً آخر يعمل قليلاً ومع ذلك فرزقه وفير.

كذلك نرى إنساناً ضعيفاً يتصر بقدرة الله على إنسان ظلمه، تلك ليست القاعدة، فالقاعدة هي الأسباب، ولكن طلاقة القدرة ثانية، وتأتي بشكل ظاهر لتلفت الناس إلى قوة الله وقدرته.

إن هذا الحديث لا يعجب إنساناً كثيرين من أولئك الذين تعلقوا بالحياة المادية، ذلك لأنهم ينسرون إلى الإسلام أنه دين يonus على التخلف بسبب الإيمان بطلاق القدرة ويقولون أن قول الله تعالى «يرزق من يشاء بغير حساب» سورة البقرة - الآية ٢١٢ - دعوة لثلا يسعى الإنسان في الرزق، فمادام الله يرزق من يشاء بغير حساب، فلماذا العمل والتعب، ولماذا السعي وراء الرزق مع ما يورثه للنفس من مشقة وما تكره، وقبل أن نجيب على هذا السؤال، نطرح قضية هامة معاصرة، تفاصي مؤلاء إلى صدق قول الله ويجعلهم يعرفون يقيناً صدق الآية الكريمة «يرزق من يشاء بغير حساب» سورة البقرة - الآية ٢١٢ - مؤلاء الذين يطعنون في هذه الآية، يبعدون الأسباب ويستخدمونها إليها، فكل رزق مسار للعمل الذي يتم من أجله، فأت إذا عملت ليل نهار، زاد رزقك، وإذا عملت بضع ساعات - مثلاً - قل رزقك، وهكذا، تلك القاعدة التي يتبعونها في أن كل رزق يجب أن يكون مساوياً للعمل الذي يتم من أجله.

نقول لهم، إن هذا قد يكون صحيحاً كقاعدة عامة، ولكنه لا ينفي قول الله تعالى «يرزق من يشاء بغير حساب» سورة البقرة - الآية ٢١٢ - ونلاحظ في الآية الكريمة قول الله «من يشاء»، ولم يقل سبحانه وتعالى أرزق كل الناس بغير حساب، بل لكل رزق معلوم على قدر ما أتاحه الله من عمل وجهد له، ولكن هناك المشيئة أو طلاقة القدرة، تعطى بغير حساب، أو بغير أسباب.

وإذا نظرنا إلى دول البترول، تلك التي تملك القوة الحقيقة في المال أو الرزق في

العالم أجمع، إذا نظرنا إلى أبنائهما، تجد أنهم أكثر الناس رزقاً أو مالاً، بل هم قد فاقوا في الرزق تلك الأمم التي فاقتهم في العمل والعلم، وأصبحت تتوجه إليهم ليدعموها في الرزق، فأمريكا وأوروبا الغربية من أكثر الدول عملاً وعلماً، ولكنها في اقتصادها تتوجه إلى دول البترول لفترض منها بالبلدين، لدعم اقتصادها، وتحاول أن تجذب أموال البترول لستمر في بنوتها، بل أن دول البترول تستطيع أن تفلس أكبر دول العالم كأمريكا وألمانيا الغربية واليابان، إذا هي سحب دعمها الاقتصادي لها وأوقفت مشترياتها منها.

إذن، من الذي يملك القوة الاقتصادية الحقيقة في العالم ؟ إنها دول البترول، فهي التي تملك المال أو الرزق حقيقة، وهي التي تستطيع أن تحكم ليس في رزقها فقط، ولكن في اقتصاد العالم كله، وذلك بشهادة كل الماديين وغير المؤمنين في العالم. بقى بعد ذلك الشق الثاني من السؤال، وهو إذا كانت دول البترول قد وصلت إلى هذا المركز الذي يتحكم في اقتصاد العالم أجمع، فلابد أنها قدمت حسب النظرة المادية - من العلم والعمل ما يفوق ما قدمته دول العالم أجمع، ولكن هذا غير صحيح، فهذه الدول الغربية تقدم علماً وعملاً، بل إن اكتشافات البترول قامت به شركات غربية من الدول التي تخضع الآن - اقتصادياً - لدول البترول، أى أنه حتى العمل القليل الذي تم، ثم بواسطة خبراء جاءوا وبخوا، وألات ومعدات تكنولوجية استوردت من دول أخرى.. فكيف إذا لم يكن الله سبحانه وتعالى «يرزق من يشاء بغير حساب» سورة البقرة الآية ٢١٢ - كيف يمكن تفسير ما هو حادث، لو أن القاعدة على إطلاقها أن الأسباب هي التي توجد الرزق لما كان ذلك يمكن أن يحدث، ولا كانت دول البترول تستطيع أن تكون أكبر قوة اقتصادية في العالم، وفي زمن قياسي، لا يستطيع العمل والعلم خلاله أن يحدثا ذلك، فلذلك تتطور دولة أو عدة دول لتصبح أغنى دول العالم، فإن ذلك يتطلب بجانب العمل والعلم وما يمكن أن يحدثه - فترة زمنية طويلة، ولكن هنا، لا الزمن ولا العلم ولا العمل يتناسب مع الرزق، إذن من الذي أوجد الرزق ؟ الله

سبحانه وتعالى مصداقاً للأية الكريمة «يرزق من يشاء بغير حساب» سورة البقرة - الآية ٢١٢ .٢١٢

هنا يجب أن يتوقف الحكم المادي الغربي الذي يأخذ الأسباب على إطلاقها، والذي يطعن في الآية الكريمة «يرزق من يشاء بغير حساب» سورة البقرة - الآية ٢١٢ ، ويبدع أنها لا تتناسب مع تطورات العصر، وتقدم العلم ومقاييس الزمن، تقول له : قبل أن تنسع في اتهامك، تأمل في الكون، تجد في كل مكان رزقاً لمن يشاء بغير حساب، وهذا الرزق يلقى الأسباب بعيداً لتأني طلاقة القدرة وتعلن أن الله يفعل ما يشاء، عندما يشاء، وقتما يشاء، وأنه اذا كانت الأسباب موجودة، فإن طلاقة القدرة موجودة في الكون، وأعتقد أنه لا أحد يستطيع أن يرد على هذه النقطة، أو يدعى ظلماً وبغير حق أن الآية الكريمة «يرزق من يشاء بغير حساب» سورة البقرة - الآية ٢١٢ - ليست حقيقة كونية، موجودة من خلق الله الأرض، وستظل إلى قيام الساعة، ونحن نطلب من كل من يستطيع الرد على ذلك أن يتكلّم.

نعود بعد هذه اللمحـة إلى طلاقة القدرة، لماذا أبقى الله سبحانه وتعالى طلاقة القدرة في الكون ولم يتركه يتفاعل بالأسباب وحدها، الذي حدث، أن الأسباب، أو المعطيات المادية، تعطينا ظاهرة الحياة، وتنظم سيرها العادـي، ولكن إبقاء هذه الأسباب وحدها - فيه بعد عن الله سبحانه وتعالـي -، ذلك أن الله قد مـكن بعض خلقـه من الأسباب في الأرض، ليسير الكون وتمضـي الحياة، فهـذا رئيس للـدولة، وهذا مـيسـر له أسبـاب التـفـوز والـسـلطـان، وهذا مـيسـر له أسبـاب المـال، إلى آخر ما نـراه في الدـنيـا كلـها، وجعل الله العـطـاء ظـاهـراً من الأسبـاب ليسـير الكـون، ثم ماـذا حدـث، جاءـ إلى الكـون إـنـاسـاً مـادـيـونـ، يـحـارـلـونـ أنـ يـضـلـلـواـ عـنـ سـبـيلـ اللهـ بـالـأـخـذـ بـالـأـسـبـابـ وـحـدـهـاـ، فـهـذاـ يـمـلـكـ المـالـ وـهـوـ يـسـتـطـعـ مـنـحـيـ ماـ أـرـيدـ إـذـاـ فـعـلـتـ لـهـ ماـ يـطـلـبـ، وـهـذـاـ يـمـلـكـ الـجـاهـ وـالـسـلطـانـ، وـهـوـ يـسـتـطـعـ أـنـ يـعـطـيـنـيـ مـنـهـ ماـ أـرـيدـ إـذـاـ فـعـلـتـ لـهـ ماـ يـطـلـبـ، وـهـكـذـاـ ظـاهـرـ الـحـيـاةـ الدـنيـاـ.

هب أن هؤلاء الناس لا يخشون الله، أنهم قد طلبوا مني أن أفعل ما يغضب الله من أجل منصب أو جاه أو مال، فماذا يكون الموقف، لو كنت أعبد الأسباب وحدها لتفقدت لهم ما يريدون، لأصل إلى حاجتي، أو ما أريد، فإذا قال لي صاحب المال، أو صاحب النفوذ والسلطان، اقتل وساعطيك كلها وكذا، لفعلت ذلك بلا تردد، إحساساً مني بأن عطاء الأسباب في يد هذا وحده، وإن معصيته متعددة بي إلى التهلكة وتخربني من مقومات الحياة، وأن طاعته ستجعلني أعيش الحياة الرغدة التي أتمناها في الدنيا، وبهذا، وبغير ما تنظر إلى ما قال الله إن فعل ولا تفعل، انطلق أنا لا حقق هوى وشهوات ذلك الذي يملك المال أو الجاه أو السلطان، ولو كنت تغضب الله، وتتضى الأسباب لتؤدي إلى عبادة الفرد، حيث يصبح الهوى الشخصي، والغرض البشري هما الأساس في الحياة، فيفسد الكون كله، ولا تمضي الحياة وفقاً لمنهج الله الذي يحمي الإنسان الضعيف من بطش القوي، والمظلوم من قدرة الظالم، ولكنها تكون حياة وفتاً لهوى النفس فيصبح الذي يحكم هو شهرة الحاكم وليس دين الله.

هذه هي خطورة الأخذ بالأسباب وحدها، وهي خطورة تعرض الكون كله للاختلال، وتضييع موازين العدل، وتُنكر من البغي في الأرض والفساد، وما من أمة عبدت الفرد إلا وانتشر فيها الظلم وعم فيها الإرهاب، وضائع فيها الحق واستعبد الإنسان، تلك حقيقة تستطيع أن تدركها إذا نظرت إلى أي دولة نصب حاكمها نفسه إليها، يعبد من دون الله في الأرض، وهي حقيقة منذ بدء التاريخ في عهد فرعون حتى عصرنا هذا، والله سبحانه وتعالى قد شدد العذاب على أولئك الذين يعاونون هذا الحاكم، ويفعلون له ما تهوى نفسه ويغضبون الله سبحانه وتعالى، فشخص آل فرعون دون سائر خلقه بأنهم منذ ساعة أن توافقهم حتى يبعثهم يوم القيمة يعرضهم على النار صباحاً ومساء فقال سبحانه وتعالى : «النار يُعرضون عليها غدو وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا إلـ فرعون أشد العذاب» سورة غافر - الآية ٤٦ .

أى أنه لم يختصهم فقط بأشد العذاب يوم القيمة، بل زادهم بالعرض على النار
غدوا وعشيا إلى يوم البعث، وتشديد العذاب هنا مناسب مع شدة المعصية، فعبادة الفرد
هي إطلاق للشهوات والظلم والفساد.

إذن فإنطلاق الأسباب وحدها في الكون، يؤدي إلى عبادة الفرد، وإلى ظلم عظيم،
ويجعل الناس يعبدون الأسباب، وينسون المسib ويخضعون لمن في يده الملك والسلطان،
والجاه والمال، ويتركون حكم الله.. لماذا؟ لأن الأسباب هنا، هي التي تعطى، وهي التي
تهب، ما يهب ظاهراً يعده الناس، لأن ظاهراً يعطي ويمنع، ومن هنا كان لا بد من
طلقة القدرة لتصحح المسير، وتقيق الناس، وتجعلهم يعلمون أن الله هو الذي أعطى
الأسباب، وأنه يستطيع كما أعطانا أن يأخذها، وأن العبادة لله وحده وأن من ترك المسib
وعبد الأسباب، فإنه قد ضل ونسى الله.

ولذلك فنحن نتعجب من إنسان يملك أمور الدنيا كلها من قوة وجاه ومال
وسلطان، ثم يأتي إنسان ضعيف لا حول له ولا قوة فيقصيه عن ملكه ويعده عن ماله،
ويصبح ذليلاً طريراً، تضيق عليه الأرض بما رحب، بعد أن كان يملك من أسباب القوة
والملك ما يجعل الدنيا كلها تخضع له وتقرب إليه.

ونحن نرى كل يوم طلاقة القدرة في العالم كلها من ملك يذهب، وملك يحيى،
ومن صاحب سلطان أو مال يصبح فقيراً معدماً مطروداً في ساعات، ومن ذلك الذي كان
يجلس على كرسى الحكم، ثم بعد ذلك بساعة تجده في السجن والقيود في يديه، كل
ذلك يحدث أمامنا ليذكرنا بطلاقة القدرة وقوه المشيئة، ويؤكد لنا أن الأسباب التي
أعطيت لأى بشر، لنتمكن له ملكاً أو جاهاً أو سلطاناً، إنما هي أسباب معطاه من الله
سبحانه وتعالى، وليس باجتهاد هذا الشخص أو تابعه من ذاته، يحيث إذا أراد الله، زالت
هذه الأسباب، ولو كانت الأسباب ذاتية، أى تتبع من الإنسان نفسه لبقيت له، ولم
يستطيع أحد أن يأخذها منه، ولكن كونها ترول عنه وفي لحظات دليل على أن الله
سبحانه وتعالى هو الذي وهب الأسباب وهو الذي أخذها منه.

ولا تقتصر طلاقة القدرة على قمة الأمور في الدنيا، بل هي في أكبر الأشياء وفي أبسط الأشياء، ولا تقتصر على فرد دون آخر، بل يراها الجميع، وكل منا صاح في يوم من الأيام «ربنا كثير» أو «ربك يمهد ولا يهمل» وهو يرى طلاقة القدرة تتدخل لتنصر مظلوماً ضعيفاً على ظالم قوي، أو تنتص من إنسان ارتكب جريمة وحسب أنه نجا من العقاب، أو تعيد حقاً ضائع من صاحبه وحسب الناس أنه ضائع إلى الأبد، أو لتزيل ظلماً أو تبعد جباراً كان يؤذى الناس لتجعله عاجزاً عن رد الأذى عن نفسه، تلك كلها طلاقة القدرة، وكلمة «يارب» التي تخرج من قلب مظلوم لا حول له ولا قوة يبعها تدخل السماء لتزيل ظلماً وتعيد حقاً، وتصحح الموازين في الأرض.

وإذا كانت طلاقة القدرة باقية في الكون فأساس بقائها أنها تذكرنا بالله سبحانه وتعالى، فإذا وعدك ظالم بأحد أسباب المال مقابل أن تفعل له ما يغضبه الله فإن طلاقة القدرة تذكرك بأن الله يرزق من يشاء بغير حساب وأنك إذا عصيت هذاظالم وأطعت الله، فإن الله يعطيك من الرزق مالا يخضع للأسباب، ويفتح لك أبواباً ما كنت تدري عنها شيئاً، ومن حيث لا تعلم يأتيك الرزق الذي تريده.

وإذا طلب منك صاحب جاء أو سلطان أن تفعل ما يغضبه الله فإن طلاقة القدرة تذكرك بذلك إذا أطعت الله أعطاك هذا المنصب أو خيراً منه.. وأنه إذا كان هذا الإنسان يملك الأسباب التي يجعلك تخاف إلا تصل إلى ما ترجوه، فإن الله سبحانه وتعالى يملك القدرة التي تعطيك بلا حساب، وبهذا تعرف جيداً أن من يغريك، هذا بماله، وهذا بسلطانه، مما سيبان زائلاً، وأن طلاقة القدرة لا يهمها هذه الأسباب ولا تقيده بها.

على أن الله سبحانه وتعالى لم يجعل طلاقة القدرة غيّراً عنا ولا جعلنا نجهلها أو لا نعرف عنها شيئاً، بل ذكرها في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، بحيث نجد في كل سورة إشارة إلى طلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى، فإذا قرأت قوله تعالى «يختص برحمته من يشاء» سورة آل عمران – الآية ٨٤ «ويعدب من يشاء» سورة آل عمران ١٢٩، «ويغفر

لمن يشاء» سورة المائدـة - الآية ٤٠ ، «ويهدى من يشاء» سورة يونس - الآية ٢٥ ، «يضل من يشاء» سورة فاطر - الآية ٨ ، «يرزق من يشاء» سورة الشورى - الآية ١٩ «تدل من تشاء» سورة آل عمران - الآية ٢٦ ، «تفزع الملك من تشاء» سورة آل عمران - الآية ٢٦ ، «إن الله على كل شيء قدير» سورة البقرة - الآية ٢٠ ، نجد أن الله سبحانه وتعالى قد اعطانا طلاقة القدرة في هذه الآيات وفي عشرات من الآيات الأخرى في القرآن الكريم، وليس هذه الآية إلا مثلاً فقط أن طلاقة القدرة يشار إليها في القرآن الكريم في أكثر من موضع، ولو قرأت القرآن لوجدت أضعافاً أضعاف هذه الآيات تبعينا بطلاقـة القدرة.

على أن الله سبحانه وتعالى لم يجعل طلاقة قدرته سراً على عباده، بل أبأهم بطلاقـة هذه القدرة وجودها، ولعل الله سبحانه وتعالى في قوله تعالى «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» سورة يس - الآية ٨٢ - هو قمة طلاقة القدرة، ذلك أن هذه الآية تبعينا أنه ليس عند الله أسباب، وأنه إذا كان قد خلق الأسباب لتنظيم الحياة على الأرض فهو ليست قيداً على مشيـته سبحانه وتعالى .. ولو كانت قيداً لقال لنا الله أنه إذا أراد شيئاً هياً له الأسباب ليكون، ولكن كلمة «كن» معناها أنه لا دخل للأسباب هنا، وأن الشيء يوجد بمجرد قول الله سبحانه وتعالى «كن.. فيكون» دون أسباب أو مسببات، وخلق السموات والأرض وما فيها كان بكلمة «كن»، خلق الإنسان بكلمة «كن» والله سبحانه وتعالى يقول: «يهب لمن يشاء إثناً ويهب لمن يشاء الذكورة» سورة الشورى - الآية ٤٩ .. ويقول: «ويجعل من يشاء عقيماً» سورة الشورى - الآية ٥٠ .. والحكمة هنا أنه رغم أن الله سبحانه وتعالى قد جعل السبب في الذريـه من ذكر وأثنـى، أى أنه لا يتم الانتـاج إلا باجتماع الذكر والأثنـى. إلا أن طلاقة القدرة يجعل من يشاء عقيماً، أى أنه رغم اجتماع الذكر والأثنـى لا يتم الانتـاج، وتتوقف الأسباب أمام مشيـة الخالق، هذا ما قاله الله سبحانه وتعالى عن طلاقة القدرة في القرآن الكريم.

فإذا جئنا إلى التطبيق، وجدنا أن طلاقة القدرة ظاهرة واضحة في الرسـل عليهم

السلام، فمعجزاتهم كلها تأتي بطلاقـة القدرة وليس بالأسـباب.. فنوح عندما دعا ربه أن يهلك الكافـرين.. ففتحت يـنابيع من السماء والأرض ليـتم الطوفـان، ولم تـفتح هذه الـنابـعـات بالـأسـباب، ولـمـتها فـتحـت بـطـلاقـة الـقـدرـة، وـأـبـراهـيمـ عـلـيـهـ السـلـامـ حين أـلـقـىـ فـيـ النـارـ وـخـاصـيـةـ النـارـ هـيـ الإـحـراقـ، قال الله سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ «ـقـلـنـاـ يـاـ نـارـ كـوـنـيـ بـرـدـاـ وـسـلـامـاـ عـلـىـ إـبـراهـيمـ» سـورـةـ الـأـنـيـاءـ - الآيةـ ٦٩ـ، فـتـوقـتـ خـاصـيـةـ الإـحـراقـ فـيـ النـارـ فـأـصـبـحـتـ لـاـ تـحـرقـهـ وـلـاـ تـؤـذـيهـ، هـنـاـ أـيـضاـ طـلاقـةـ الـقـدرـةـ، وـمـوسـىـ - عـلـيـهـ السـلـامـ - عـاشـ مـعـ طـلاقـةـ الـقـدرـةـ طـولـ عـهـدـ نـبـوـتـهـ، نـظـراـ لـلـمـعـصـيـةـ الـمـسـتـمـرـةـ لـبـنـىـ اـسـرـائـيلـ، فـقـدـ قـالـ اللهـ «ـاضـربـ بـعـصـاـكـ الـبـحـرـ» سـورـةـ الشـعـرـاءـ - الآيةـ ٦٣ـ - فـانـفـلـقـ وـظـهـرـ قـاعـهـ وـوقفـ المـاءـ الـذـيـ مـنـ خـاصـيـتـهـ الـإـسـطـرـاقـ، وـقـفـ سـاـكـنـاـ بـعـيـداـ بـقـدـرـةـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ، وـعـبـرـ مـوسـىـ وـقـومـهـ الـبـحـرـ، وـعـنـدـماـ حـاـولـ فـرـعـونـ الـعـبـورـ عـادـتـ نـظـرـيـةـ الـإـسـطـرـاقـ إـلـىـ المـاءـ فـأـغـرـقـهـ هـوـ وـجـنـدـهـ وـعـنـدـماـ استـسـقـىـ مـوسـىـ قـوـمـهـ، ضـرـبـ الـحـجـرـ فـانـفـجـرـتـ مـنـهـ التـنـتـاـ عـشـرـةـ عـيـنـاـ وـلـوـ أـنـ مـوسـىـ - عـلـيـهـ السـلـامـ - قـامـ بـحـفـرـ حـفـرـ لـيـبـحـثـ عـنـ المـاءـ، لـقـلـنـاـ أـنـ اـتـخـدـ الـأـسـبـابـ، وـلـكـنـ خـمـرـ ضـرـبـ الـحـجـرـ بـعـصـاـ أـنـفـجـرـ مـنـهـ المـاءـ، لـاـ عـيـنـ وـاحـدةـ، وـلـكـنـ التـنـتـاـ عـشـرـةـ عـيـنـاـ، ذـهـبـتـ كـلـ عـيـنـ بـمـاـهـاـ إـلـىـ الـقـوـمـ الـذـيـ قـسـمـهـ اللـهـ لـهـمـ، وـرـفـعـ الـجـبـلـ فـوـقـ بـنـىـ اـسـرـائـيلـ، وـضـرـبـهـمـ الـبـيـتـ بـأـجـزـاءـ مـنـ الـبـقـرـهـ بـعـدـ ذـبـحـهـاـ، أـيـ ضـرـبـ مـيـتـ بـمـيـتـ، وـتـخـرـجـ مـنـهـمـ الـحـيـاةـ، وـيـسـعـتـ الـقـتـيلـ لـيـدـلـ عـلـىـ قـاتـلـهـ. كـلـ هـذـهـ مـعـجزـاتـ لـاـ يـمـكـنـ أـنـ تـدـخـلـ فـيـهـاـ الـأـسـبـابـ، بلـ هـنـاـ تـجـلـيـ طـلاقـةـ الـقـدرـةـ فـيـ أـنـ يـقـولـ لـلـشـيـءـ «ـكـنـ فـيـكـونـ»، ثـمـ تـأـتـيـ بـعـدـ ذـلـكـ طـلاقـةـ الـقـدرـةـ فـيـ زـكـرـيـاـ وـمـرـيـمـ، حـيـنـمـاـ دـعـاـ زـكـرـيـاـ اللـهـ أـنـ يـهـبـهـ غـلامـاـ «ـفـادـهـ الـمـلـاـكـهـ وـهـوـ قـاـمـ يـصـلـيـ فـيـ الـحـرـابـ أـنـ اللـهـ يـشـرـكـ بـيـحـيـيـ» سـورـةـ آلـ عـمـرـانـ - الآيةـ ٣٩ـ .. «ـيـاـ زـكـرـيـاـ إـنـاـ لـيـشـرـكـ بـغـلامـ اـسـمـهـ يـحـيـيـ لـمـ يـجـعـلـ لـهـ مـنـ قـبـلـ سـمـيـاـ» سـورـةـ مـرـيـمـ - الآيةـ ٧ـ .

هنا أـخـدـتـ زـكـرـيـاـ طـلاقـةـ الـقـدرـةـ فـاهـتـ. وـسـأـلـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ، كـيـفـ يـمـكـنـ أـنـ يـحـدـثـ ذـلـكـ وـهـوـ شـيـعـ كـبـيرـ وـأـمـرـأـهـ عـاقـرـ أـيـ أـسـبـابـ إـذـاـ طـبـقـنـاـهـاـ هـنـاـ لـاـ يـمـكـنـ أـنـ

تودى إلى مولد طفل، حيث رد الله - سبحانه وتعالى - عليه، «هو على هين، وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا» سورة مریم - الآية ٩ - أى أن الله سبحانه وتعالى ذكر ركريا بطلاقة القدرة فقال له لا تعتقد أن هناك شيئاً صعباً على لأن الأسباب لا تأتى به، بل من أهون الأشياء على قدرتى أن أفعل ما أريد، ويتم ما أشاء بدون أسباب، وإذا كان هذا صعباً على فهمك، فلتذكر خلقتك، «وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا» سورة مریم - الآية ٩ .. فإذا كانت قدرتى أن أوجد من العدم، أفلأ أستطيع أن أخلق بلا أسباب.

وعندما دخل زكريا المحراب على مریم وجد عندها رزقاً، أى فاكهة في غير أوانها، فسألها «أنى لك هذا» سورة آل عمران - الآية ٣٧ - أى من أين أتيت بهذه الفاكهة وهذا الطعام ؟، فقالت «هـ من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب» سورة آل عمران - الآية ٣٧ .. إشارة إلى أن طلاقة القدرة لا يستعص عليها شيء.

بل أن خلق المسيح بن مریم كان من طلاقة القدرة، والله سبحانه وتعالى خلق آدم من لا شيء، وخلق حواء من آدم، أى أنثى من ذكر بلا أنثى، وخلق من ذكر وأنثى، ولاتمام مراحل الخلق بقى أن يتم من أنثى بدون رجل، وقد تم ذلك في عيسى بن مریم عليه السلام.

فإذا إنطلقنا بعد ذلك إلى الإسراء والمعراج نجد أنه معجزة كبرى دالة على طلاقة القدرة، فرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسرى به من مكة المكرمة إلى بيت المقدس، حيث صلى بالأنبياء، وهي طلاقة في القدرة أن يصلى حتى بأولئك الذين انتقلوا إلى جوار ربهم منذ مئات السنين، ثم بعد ذلك انطلقت به طلاقة القدرة ليخترق السموات السبع ويصل إلى سدرة المنتهى، وهذا الانطلاق كان فيه تغيير لطبيعة الأشياء حتى يمكن لرسول الله أن يصل إلى سدرة المنتهى، بل أن الوحي نفسه من طلاقة القدرة أن يتocom الملائكة يساند ليتم تبليغ القرآن الكريم.

كل هذه الأشياء في مجموعها، هي تطبيق حتى لطلاقة قدرة الله - سبحانه

وتعالى - ، فالله لم يذكر لنا طلاقة القدرة في القرآن الكريم، دون أن يعطينا أمثلة على التطبيق، متواكبة على رسنه، تؤيدهم هذه القدرة بالمعجزات التي رواها لنا القرآن الكريم. على أن طلاقة القدرة لم تتوافر للرسل وحدهم، بل هي في كل جزء من الحياة، وإذا أردنا أن نتأمل طلاقة القدرة في مظاهر الدنيا، فلتأخذ قول الله سبحانه وتعالى : وإن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضه فما فوقها فاما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهدا مثلاً يضل به كثيراً وبهدى به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين» سورة البقرة - الآية ٢٦.

إذا تأملنا هذه الآية الكريمة نجد أن الله سبحانه وتعالى ضرب مثلاً ببعوضه، والمثل هنا كالأمثلة في القرآن الكريم لا تضرب جزاها ولكن لحكمه بالغة، حين ضرب هذا المثل قال الكفار ماذا أراد الله بهذا مثلاً ولم يفهموا شيئاً، ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يضرب مثلاً بدقّة الخلق، فإن خلق البعوضة المتناهية في الصغر بكل الوظائف الازمة لها في الحياة، دقة في الخلق تستوجب خالقاً قادرًا، وهذه البعوضة الصغيرة الحجم، قد جعل الله فيها كل أسباب الحياة، وما فرقها، أى ما أصغر منها وأدق في الخلق، خلقه الله ووضع فيه أسباب الحياة، واستمرار الحياة.

وهنا حكمة بالغة، إن الله سبحانه وتعالى يريد أن يخبرنا إلا نستهين بالخلوقات الدقيقة التي خلقها لصغر حجمها وضائلتها، بل أنه كلما زادت دقة الخلوقات كان بأيه شدیداً وكلما زادت ضخامة الخلوقات فليس هذا بالضرورة دليلاً على القوة، وإذا أخذنا بهذه النظرية، وعدنا إلى بداية الخلق، نجد مثلاً أن الحيوانات الضخمة التي عاشت في القرون الأولى على الأرض كالديناصور مثلاً قد هلكت وانقرضت ولم تستطع أن تعيش العصر الجليدي الذي ساد الكوكبة الأرضية، هذه الحيوانات المرعبة التي كانت تزلزل الأرض، لم تستطع أن تغلب على الطبيعة بينما البرغوث والنملة مثلاً قد عبرا هذه العصور حتى عصرنا هذا، ويقول العلماء وهم يفسرون هذه الظاهرة، إن الحيوانات

الضخمة في أجسامها كانت تملك عقولاً صغيرة، لم تتمكنها من التحايل على البيئة ولذلك هلكت.. هذا هو تفسير العلم، ولكن التفسير الإيمانى يقول، إن الله - سبحانه وتعالى - يريد أن يخبرنا أن البقاء لا يخضع لعنصر القوة، وإنما يخضع لعنصر القدرة وأن الأشياء القوية، أو ذات القوة الهائلة التي تظن أنها ستسود الأرض إلى الأبد، تأتي قدرة الله - سبحانه وتعالى - فتهلكها، بينما تبقى الأشياء الصغيرة التي لا ترى بالعين المجردة.. فالفيروس - مثلاً - الذي لا يستطيع أحد رؤيته حتى الآن لتناهى حجمه في الدقة، أقوى من الفيل والأسد وعقل الإنسان وكل قدرات المخلوقات على الأرض، فهو يستطيع أن يقضي على أي من هؤلاء الذي يقف عاجزاً أمامه، وهو يعيش ملايين السنين مع ضآلة حجمه وتناهيه في الصغر، وهذه الفيروسات تستطيع أن تسلب الحياة من شعب يأسره، ومن أمة تخال بقوتها فيسلط الله - سبحانه وتعالى - هذه الفيروسات التي لا ترى وتنشر بين أفراد هذه الأمة كوباء يقينها.

هذا طلاقة القدرة التي تعطى ذلك الشيء المتناهى في الصغر قوة هائلة تجعله يهلك أقوى الأقوياء في الأرض، دون أن يستطيع القوى أن يجعل شيئاً، ويأتي ذلك لؤمن بأن القوة هي لله فلا نفتر بقوتنا الظاهرة، ونحسب أنه لا يوجد في الأرض من يغلينا، وأدق مخلوقات الله تستطيع أن تسلبنا الحياة في ساعات، وفي ذلك قضاء على الغرور في النفس البشرية وثبتت للإيمان بأنها بدون قوة الله وتأييده لا تساوي شيئاً.

على أن الله سبحانه وتعالى، قد أعطاها كل هذا الحكمـة بالغة، وأوجد لها ما يثبت طلاقة قدرـة علمـاً وعملـاً، وقولـاً وفعـلاً حتى يمـضـى موـكـبـ الإيمـانـ فيـ الحياةـ فيـ نفـوسـ مـطمـئـنةـ إـلـىـ قـوـةـ اللـهـ، لاـ تـرـزـلـلـهاـ الأـحـدـاتـ وـلـاـ تـشـفـيـهاـ الأـسـابـ.

والنقطـةـ الأولىـ فيـ الحـكمـةـ البـالـغـةـ فيـ طـلاـقـةـ الـقـدـرـةـ هيـ الإـيمـانـ بـأنـ اللـهـ موجودـ إـذـاـ عـجـرـتـ الأـسـابـ، وهذاـ الإـيمـانـ هوـ الذـيـ يـقـيـ الإـيمـانـ المؤـمنـ مـطـمـئـنـاـ إـلـىـ أنـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ لـنـ يـتـخـلـلـ عـنـ مـهـمـاـ كـانـتـ الأـسـابـ تـقـولـ ذـلـكـ، وـإـذـاـ كـانـتـ الدـوـلـ المـادـيةـ

التي لم يدخل فيها الإيمان تعانى في شيء وهو الإحساس بالخوف واليأس من الحياة ورغم كل ما في هذه الدول من تقدم مادى وأمن وأمان، فإن كل فرد فيها يعيش فى قلق يمزقه، لأن كل إنسان مادى يعبد الأسباب دون المسبب، ويعتقد في القدرة البشرية دون قدرة الله - سبحانه وتعالى -، فإذا فصل من وظيفة لا يقول إذا أغلق الله بابا للرزق أمامى فسيفتح لي عدة أبواب، ولا يقول أن هذا ابتلاء من الله ليختبرنى، وأن مع العسر يسرا، ولا يقول أن الذى آمنت به وعبدته لن يتخللى عنى أبدا، فذلك منطق الإيمان، ولكن منطق المادة يجعله يرى المستقبل أسود ويحس أن الدنيا أغلاقت فى وجهه، وأنه لن يجد بابا للرزق، وأنه قد ينتهى تماماً، ومن هنا فهو يبأسه من رحمة الله يلتجأ فى كثير من الأحيان للاتجار وصاحب بالجتون، لأنه يعتقد أن البشر الذى منته هو الذى يملك كل الأسباب، وأن الله سبحانه وتعالى لا يملك شيئاً.

وإذا مرض الإنسان المادى بمرض ميغوس من شفائه، فقد الأمل فى المستقبل، ولم يقل إذا عجزت الأسباب فإن رحمة الله لن تخللى عنى وسيجد لى سبيلاً للشفاء، أو يقول أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يشفينى ولو عجزت الأسباب، بل هو فى عبادته للأسباب يتخذها إليها، فإذا عجزت الأسباب فإن إليه قد تخل عنه، ولم يعد أمامه إلا مصير أسود.

الله سبحانه وتعالى يريد أن ينجي المؤمنين من هذه الحياة الشقية فهو وعدهم بالحياة الطيبة، والحياة الطيبة ليس فيها الشقاء البشري الذى تفرضه المادة على الإنسان، بل فيها رحمة الله سبحانه وتعالى تلك الرحمة التى جعلت طفلًا كاسما عليل عليه السلام، يضرب الأرض بقدمه الصغيرة فيخرج ماء زرم، بعد أن هرولت أمه عليها السلام بين الصفا والمروة سبعة أشواط وهى تبحث عن الماء، تائى رحمة الله لتجعل الماء يخرج من ضربة بقدم طفل صغير، فيتشقق الصخر ويخرج منه الماء.

تلك هي المعجزة الكبرى التي يريدنا الله أن نعيش منها، فإذا وقفت أمامنا

الأسباب فأمانتنا طلاقة الكبرى لقدرة الله نلتجأ إليها، ولذلك قال الله - سبحانه وتعالى - في كتابه العزيز «أَمْنٌ يجحبُ الْمُضطَرُ إِذَا دَعَاهُ» سورة النمل - الآية ٦٢ .. وإذا ثأمنا هذه الآية .. نجد أن الله سبحانه وتعالى استخدم لفظ (المضطر) .. المضطر ذلك الذى تخلت عنه الأسباب - أسباب الدنيا - ووقف كل شىء حائلاً بينه وبين ما يريد، حيث لا تخلت عن الأسباب معه فيقول سبحانه وتعالى، إذا تخلت عنك الأسباب فلا تيأس ولا تعتقد أن كل شىء قد ضاع، بل ارفع يديك إلى السماء وقل يا رب وساعتها تفتح أبواب السماء، وتتدخل القدرة لتحقيق لك ما تريده.

وهذا ليس غريباً عنا.. عن حياتنا العادلة، وليس كلاماً يقال دون أن يكون له واقع في الحياة، فلو استعرض كل منا شريط حياته لوجد أن فيه طلاقة القدرة.. كم هنا واجه مشاكل بلاحـلـ، وربما ظل ساهراً ليالـ طويـلة يقلب عقلـه ويعـمل فـكرـه ولا يستطيع أن يصلـ إلىـ الحلـ، ثم فجـأةـ تـغـيـرـ كـلـ مـاـ حـولـهـ ليـجـدـ الـبـابـ مـفـتوـحاـ منـ حيثـ لاـ يـدرـىـ ولاـ يـحـسـبـ، ويـأتـيـ الـحلـ مـيسـراـ سـهـلاـ منـ أـشـيـاءـ لـمـ تـكـنـ تـوقـعـهاـ، وـلـاـ تـظـنـ أـنـهـ سـتـحدـثـ، كـلـ مـاـ مـرـ بـذـلـكـ، وـكـلـ مـاـ رـأـىـ فـيـ حـيـاتـهـ مـرـةـ أوـ مـرـاتـ قـدـرـةـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ وهـيـ تـزـيلـ ظـلـمـاـ مـاـ كـانـ يـحـسـبـ أـنـ يـزـوـلـ، أـوـ تـحـلـ مشـكـلـةـ لـمـ يـكـنـ يـعـقـدـ أـنـ لـهـ حلـ، أـوـ تـأـنـيـ بـشـىـعـ لـمـ يـكـنـ يـحـلـ بـهـ، كـلـ هـذـاـ حدـثـ لـنـاـ جـمـيـعاـ.

يريد الله سبحانه وتعالى أن يملأ النفس المؤمنة برحمته، بحيث تواجه مصاعب الحياة وفي قلبها شعلة إيمان لا تنطفئ، هذه الشعلة هي أمل متصل بالله سبحانه وتعالى «هو على هين» فالصعب مهما بلغت فهو على الله شىء هين، وهي أمام قدرة الله سبحانه وتعالى لا شىء، فلا يدخل اليأس إلى قلب الإنسان أبداً، ولا تحطم الحياة معتبراته فتدفعه إلى الجنون والانتحار، ولعل ارتفاع نسبة الجنون والانتحار في الدول المادية، وانخفاضها في الدول التي تمسك بالدين هما خير دليل على الحياة الطيبة التي يعطيها الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين.

والنقطة الثانية هي أن طلاقة القدرة تفسر لنا ما يحدث في الكون من أشياء لا

تتفق مع الأسباب، فنحن نعيش في كون تحكمه طلاقة القدرة مع الأسباب.. ولذلك فاننا نرى أحياناً أن إنساناً يملك كل أسباب القوة من جيش وشرطة وأجهزة دولية، ثم يأتي إنسان ضعيف لا حول له ولا قوة، فتجد قدرة الله سبحانه وتعالى تأتي إلى هنا القوى فتبليه من مكانه، وتأتي بهدا الضعيف وتضعه مكانه، ذلك يحدث أمامنا في العالم كل يوم، ولو طبقنا الأسباب لقالت عكس ما يحدث، ولكن الأسباب شيء، وطلاقة القدرة شيء آخر.

فإذا جئنا لأمة كافرة، كالاتحاد السوفيتي - مثلاً - تجد الله سبحانه وتعالى سلط عليها ما يهلكها، أحياناً بين يوم وليلة وأحياناً على فترة من الزمن، فإذا نظرنا إلى الاتحاد السوفيتي بعد أن كان هو مخزن الحبوب في العالم وبعد أن كانت أوكرانيا تتبع من القمح ما يزيد عن حاجة الاتحاد السوفيتي بكميات هائلة، تجد أن البركة قد رفعت منها، وأصبح الاتحاد السوفيتي يستورد كميات كبيرة من القمح من الخارج، ولا يوجد رغيف الخبز الذي يقتات به، وكذلك تجد في كل الدول التي تخالب الدين، تملؤها الكوارث وينذهب عنها الأمن والأمان، ويصبح رزقها ضيقاً وأمنها معدوماً، والشقاء يخيim على كل من يعيش فيها، كل ذلك يتم بطلقة القدرة دون الأسباب التي ربما قد تؤدي إلى عكس ذلك، بل أنه في بعض الأحيان، تقوم هذه الدول بمشاريع تجند لها دعايتها، وتقول أن بها خيراً وفيراً، وأنها ستحقق الرفاهية والعيش الرغد، ثم تتم المشاريع فإذا بها تأتي بعكس ما قيل عنها تماماً، وإذا بها وبال.. في وبال.. في وبال..

وطلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى تجعله هو الوحيد، وتحصل كل ما حوله متغيراً، وتأتي أنت لترى الدول الكبيرة التي لم تكن تغرب الشمس عنها وقد تضاءلت وربما اتسع من خريطة الكون، وربما أصبحت عاجزة عن حماية نفسها، مع أن الشعب هو الشعب لم يتغير، والقدرات هي القدرات لم تتغير، ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذي غير كل شيء.

والنقطة الثالثة في طلاقة القدرة أن كل شيء في الكون قد جعل الله له مولداً

في طلاقة قدره.. فطلاقة القدرة هي التي تكشف أسراراً لكل جيل اختفت عن الجيل الذي سبقة.. فالله له عطاء جديد لكل جيل من البشر، وإذا أردنا أن نستطرد في شرح هذه النقطة، تقول أن بعض الناس يعجزه تفكيره عن فهم تفسير الآية الكريمة «إذا مرضت فهو يشفين» سورة الشراء - الآية ٨٠، وبعدهم لا يذهب إلى الطبيب تطبيقاً لهذه الآية، والبعض الآخر يذهب إيماناً منه بأن الشفاء يحدث على يد الطبيب، ولكن الذي يحدث أن لكل شفاء أجل، فإذا جاء الأجل أو الموعود كشف الله للطبيب المرض فيتحدد الداء والدواء ليتم الشفاء، والذي يحدث عادة - وهذا في حياتنا - إننا نذهب إلى أشهر الأطباء وأكثرهم علماً وفنا فلا يتم على يديه الشفاء، ثم نذهب إلى طبيب صغير أو مبتدئ فيعرف الداء وكتب الدواء، ونحن حين يحدث هذا نتعجب، ذلك لأن الذي حدث يخالف الأسباب في الأرض، فالمفروض أن الطبيب الأكثر علماً هو الذي يكتشف الداء بحكم عمله وخبرته، والطبيب المبتدئ لا يمكن أن يكتشف ما عمي على أستاذة، تلك هي أسباب الأرض، ولكن الحقيقة، أو ما يحدث وما نشاهده جميعاً ونعرفه هو عكس ذلك، والحقيقة أن علم الطبيب المبتدئ لا يمكن أن يزيد عن علم أستاذة ولا خبرته، ولكن الذي حدث أن وقت الشفاء قد جاء، فيسر لنا الله الطبيب الذي عرف الداء وكتب الدواء، وإذا لم نذهب نحن إلى الطبيب فأحياناً يحدث ذلك بطريق ما نسميه «الصدفة» وهو أن يجتمعنا مكان مع أحد الأطباء، ويدور الحديث عن المرض ويقوم الطبيب بتشخيص الداء وكتابة الدواء.

وكما يقال عن المرض، يقال عن كل كشف من أسرار الأرض، يريد الله سبحانه وتعالى أن يمكن منه خلقه، فكل كشف له ميلاد عند الله وفي علمه، والذي يحدث أنه عندما يأتي وقت هذا الميلاد إذاً ما يصادف هذا الكشف عملاً يبحث عنه، كشفه الله - سبحانه وتعالى - له، وإذا لم يصادف هذا الكشف عملاً يبحث عنه، كشفه الله - سبحانه وتعالى - لعلم يبحث في موضوع آخر.. ولذلك نرى كثيراً من الأبحاث

العلمية التي تبدأ بالبحث عن كشف ثم تنتهي إلى كشف آخر مختلف تماماً، لم يكن يدور في ذهن العالم، بل حدث بطريق ما نسميه الصدفة، ولو تبعنا الكشف العلمية وما يحدث فيها، لوجدنا أن اكتشافات كثيرة تمت دون أن يكون هناك باحث عنها بالذات، بل بدأ البحث عن شيء وانتهى إلى شيء آخر.

وهذا يكون العطاء في كثير من الأحيان بمولد ومقات من الله سبحانه وتعالى، ولكن الله سبحانه وتعالى لا يطلعنا على ذلك، فأحياناً نأخذ الأسباب، وأحياناً نرى أن هناك أشياء يحار العقل فيها فننسبها للصدفة، أو للحظة، أو لكل هذه المسميات.

النقطة الرابعة أن الإيمان بطلاق القدرة هو أساس الإيمان وركيزةه والذي لا يؤمن بطلاق القدرة لا يمكن أن يؤمن بالغيب فالإنسان الكافر، أو الذي ينكر وجود الله يأخذ بالأسباب وحدها، فما هو ظاهر أمامه يصدقه، وما هو غيب عنه يكذبه، فإذا حدثه عن الجنة والنار، والثواب والعقاب، وما أعده الله سبحانه وتعالى للمؤمنين من عباده سخر منه، ولكن الذي يؤمن بطلاق قدرة الله هو الذي يفهم معنى أنه سيكون في الجنة مala عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ولذلك فأننا لكي نؤمن بالآخرة، ونؤمن بقدرة الله على بعث الموتى، ونؤمن بما يعدنا الله من ثواب أو عقاب يجب أن نؤمن أولاً بطلاق القدرة، ونعرف أن الله - سبحانه وتعالى - لا تحده قيود ولا حدود، ولا شيء عنده يقع تحت كلمة مستحيل، وأنه مadam قد وعد، ووعله الحق، فإنه سيتحقق، وأنه قادر على أن يخلق جنات فيها مala عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وقدر على أن يعطي الإنسان نعيمًا أبدية، ويعطيه عاباً أبدية، وقدر على أن يسجل أعمال كل البشر، وعلى أن يواجههم بأعمالهم في الآخرة، تلك كلها لا تخضع لقانون السبيبية، ولكنها تخضع لطلاق القدرة التي حرص الله سبحانه وتعالى على أن يبينها لنا قوله تعالى: وَفِعْلًا.. وبعضها في حياتنا اليومية، فنحن نعيش مع طلاق القدرة كل يوم ليزداد إيماننا بالغيب الذي حجب عنا ونحن حين نجد طلاق القدرة التي تصطدم

بالعقل ومخبرها، إنما يزداد إيماناً بأن الله سبحانه وتعالى فوق قدرة العقول كلها.

تلك حقيقة يجب أن نتعهدها، فطلاقة القدرة أساس إيمانى لكل شئ أخبرنا الله عنه، وجعله خيراً عنا، وكل شئ يكشفه الله سبحانه وتعالى لنا جيلاً بعد جيل، ذلك أن هذه الأشياء التي تريدها يقيناً بقدرة الله، يجب أن تريدها خشوعاً له، فكل يوم يضاف إلى علمنا أسرار كانت موجودة في هذا الكون، ولم نكن نعرف عنها شيئاً، وهذه الأشياء في كثير من الأحيان تصحيح مفاهيم خاطئة كانت موجودة على أساس أنها علم أرضي.

ولو أنها قمنا بحصر ما كشفه لنا الله سبحانه وتعالى من أسرار الكون لوجدنا أن هذا الجيل يجب أن يكون أكثر عباده وخشية لله من الأجيال التي سبقته لأنه وصل إلى أسرار في الكون جعلته يعرف قدرة الله وعظمته، والله سبحانه وتعالى يقول :

«حتى إذا أخذت الأرض رخوفها وزرعت وطن أهلها أنهم قادرون عليها أنها أمرنا

لليلاً أو نهاراً» سورة يونس - الآية ٢٤.

ويعنى هذه الآية الكريمة، أن الله سيكشف من أسرار، كونه للبشر ما يريهم به دقة صنعه وأحكام خلقه، ولكن البشر لن يأخذوا هذه الأشياء على هذا المعنى، بل سيركهم الغرور، ويحسبون أنهم هم الذين صنعوا، وهم الذين اكتشفوا، و يجعلهم هذا الغرور يظنون أنهم قد وصلوا إلى العلم الذي يمكنهم من أن يتحكموا في كل شئ في الأرض، حيثند يأتي قضاء الله وتقوم الساعة، ولقد استخدم الله سبحانه وتعالى كلمة «ظن» لحكمة بالغة.. ذلك أن الله هو الذي سخر للإنسان كل ما في الكون، وهو الذي كشف له عن الآيات في هذا الكون، ولكن بدلاً من أن ينسب الإنسان الفضل لصاحب، تسبه لنفسه، ليس حقيقة، ولكن «ظن» فالعلم كلما تقدم، اعتقاد الإنسان أن هذا عطاء من ذاته، وأنه هو الذي سخر هذه الأشياء لنفسه، وهذا الظن يجعله يعتقد أنه قد سيطر على الأرض تماماً، وأصبح قادراً عليها وعلى كل القوى فيها، حيثند تألى

الساعة، وتعطل القوانين كلها، ويعرف الإنسان إن ما وصل إليه هو من فضل الله، وأن الله إذا كان قد خلق لنا الأسباب وجعلها خاصة لنا، فيجب لا تغافل وتنسى طلاقة القدرة.

ولقد قال الله سبحانه وتعالى : «سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَشْعُرُ
لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ» سورة فصلت - الآية ٥٣ .

والقرآن الكريم متعدد به.. لا يتبدل حتى قيام الساعة ولذلك فإن كل جيل سيقرأ «سريرهم» .. «السنين» مستقبلية والمعنى أن كل جيل يرى مالم يره الجيل الذي سبقه، ليس فقط من آيات الله في الأرض، بل في الآفاق، وفي النفس البشرية، ولعل التقدم العلمي في كشف الآفاق وفي معرفة الأسرار المختلفة للجسم البشري مصدراً لهذه الآية الكريمة، ويجب أن نعرف أنه لا يقدر على العطاء المستقبلي إلا الله سبحانه وتعالى فلا يمكن مهما بلغت أنا من العلم أن أنتبه بما سيحدث مستقبلاً، وأجيال قادمة، ولكن الله سبحانه وتعالى هو القائل وهو الفاعل، ومن هنا فإنه يستطيع أن يعطيانا صورة يقينية عن المستقبل.

والنقطة الخامسة - في قضية طلاقة القدرة - أن الإنسان حين يتمسك بالأسباب، فإنه يعطي نفسه قدرات ليست فيه ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى حين يرى عبداً من عباده يأخذ بالأسباب، فإنه يتركه ليتفاعل مع الأسباب التي اعتقد أنها قد أعطته.. وفي هذه الحالة تسقط عنه الأسباب فيذهب العطاء.

ولو أن الإنسان كان قد ملك الأسباب حقيقة وهي التي تعطى - لما زالت عنده هذه الأسباب وذهب العطاء، ولقد أعطانا الله سبحانه وتعالى مثلاً لذلك في القرآن الكريم فقارون قال «إِنَّمَا أُوتِيَهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عَنِّي» سورة التصوير - الآية ٧٨ . وصاحب الجنتين في سورة الكهف «قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبْيَدَ هَذِهِ أَبْدَأ» سورة الكهف - الآية ٣٥ .. والذين أرادوا أن يأخذوا حق القراء من ثمر الحديقة قالوا «أَنْ لَا يَدْخُلُنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِنٌ» سورة القلم

وكان في هذا كله الهلاك فخسف بقارون ويداره الأرض، وأحيط بشر للجنتين.. وذهب خير الحديقة وأصبحت كالصريم.. كان ذلك سبباً في زوال النعمة، لأن المنعم عليه أخذ ظاهرية الأشياء دون حقيقتها وهي طلاقة القدرة التي أعطت، والتي أخذت.

وطلاقة القدرة تعني أن الله واحد أحد، والقول بأن الله أحد معناه، أنه يجمع من الصفات مالا يمكن أن يجمع لبشر أو مخلوق.. بل للخلق وحده سبحانه وتعالى.. وهو الذي يملك وحده طلاقة القدرة، يقول للشیع کن فيكون بلا أسباب، وكل ما له حظ من العلم، ولكن الله سبحانه وتعالى علیم، أى لم يعلمه أحد، وإنما العلم من ذاته ويعلم مالا نعلم.

إذن قولنا أحد، هو تزییه لله سبحانه وتعالی أن يكون هناك شبيه له، فالشیع الواحد يمكن أن يكون له شبيه، والشیع الواحد يمكن أن يكون من مجموع الأشياء، فأنت تقول عن عدة أشخاص أنهم يتحدون بلسان واحد، أى أن كل واحد منهم يكرر نفس الكلام الذي يقوله زميله، ولكن «الحادي» تنفي هذا كله عن الله.. وأنت تقول للشیع المكون من عدة أجزاء شيء واحد، فالكرسي مثلاً يكون من خشب وجلد ومسامير ولكنه شيء واحد، هو كرسي، والله سبحانه وتعالی منه عن ذلك تماماً، ذلك أن الله لا يمكن أن يكون مكوناً من أجزاء متداخلة، ببارك وتعالی وتنزه عن هذا، وإلا فأى واحد من الثلاثة خلق الآخرين، ومن الذي وجد أولاً وإذا كان الله سبحانه وتعالی وجد أولاً، فباقي الأجزاء هي من خلقه وليس جزءاً منه، ومن هنا تصبح من مخلوقات الله وليس جزءاً من الذات، والقول بأن الله سبحانه وتعالی، مكون من عدة أجزاء ينفي الكمال عن الله إذا انفصلت ويقال عنها أجزاء متداخلة عن الله سبحانه وتعالی.

إذن فالقول بأن الله واحد، هو قول فيه تجاوز، ولكن صحيح القول أنه أحد، ليس كمثله شيء ولا يحتاج لأى خلق من خلقه بل هو الله الأحد الذي لا شبيه له، ولا

يرى شئ مهما بلغ إلى قدره وعظمته.

والله هو الصمد.. أى القرى الذى يقصد لذات قوته، أى أن الله سبحانه وتعالى وحد الأحد الذى ليس كمثله شئ.. الصمد الذى يقصد إليه فى الحوالى، فلأنه توجه إلى الله - سبحانه وتعالى - إذا أردت شيئاً واستعصى عليك، وأنت تتجه إما اضطراراً، وإما اختياراً، وهناك خلق مسخر لله لا اختيار لهم فى الاتجاه إلى الله أو لغير الله.. فالملاك مثلاً لا يعصون الله، ما أمرهم ويفعلون ما يومنون، ليس اختياراً، ولكن اضطراراً، فهم مخلقون لهذا، وكذلك الشمس والقمر، وكل الأشياء التى سخرها الله سبحانه وتعالى. فهي مسخرة لما خلقت له، فالشمس لا تستطيع أن تختر يوماً تشرق فيه ويوماً تغيب، والأرض لا تستطيع أن تقول سأتوقف عن الدوران، والتجمد والقمر والجبال والبحار، كل شئ مسخر لا يملك قدرة الاختيار، ومن هنا فهو توجه إلى الله، يقوم بدوره الذى خلقه الله سبحانه وتعالى له.

يأتى بعد ذلك الإنسان، وقد أعطاه الله حرية الاختيار، وجعله قادرًا على أن يفعل أو لا يفعل، وأن يتجه إلى الله، أو يحاول إنكار وجود الله، وذلك في فترة حياته الدنيا فقط.

إذن فقول الله - سبحانه وتعالى -، الله الصمد وضع أمامنا الصورة الصحيحة للعقيدة، فما دام الله أحداً، فليس هناك غيره.. ومادام الله الصمد، فهو مقصود فى الحوالى، ليس هناك من يقوم بديله، فلا وجود على الحقيقة إلا وجوده، ولا فاعل إلا فعله، والله - سبحانه وتعالى - لا ينقص من ملكه أن يعطي كل إنسان ما يشاء، ولا أن يكفر الناس جمِيعاً فالله - سبحانه وتعالى - غنى عن العالمين.. وهو القادر على أن يهب ويأخذ وأن يجعل الضعيف قوياً، وهذا هو الفرق بين عطاء الله وعطاء البشر.. وفرق آخر.. أن الإنسان إذا أعطى لا يستطيع أن يسترد عطاءه، فأنت إذا أعطيت شخصاً مالاً، وتذكر ذلك فأنت لا تستطيع أن تسترد هذا المال مادام هذا المال قد أصبح مملوكاً له..

وأنت إذا كنت طيباً وأعطيت الإنسان دواء أزال مرضه ثم رفض أن يدفع لك ثمن نفقاتك فأنت لا تستطيع أن تسلبه نعمة الصحة، ولكن الله سبحانه وتعالى هو القادر أن يُعطي ويأخذ، فهو إذا أعطى النعم وكفر الإنسان بها، يستطيع أن يجعل الغنى فقيراً.. ويجعل السليم مريضاً، وإذا قابل الإنسان النعمة بالشك، زاده الله وأعطاه.

والله سبحانه وتعالى، إذا أعطى إنساناً أسباب الحكم في الأرض فبغى على الناس وظلمهم، فإنه يسلط عليه من هو أظلم منه، فينتقم منه، فالله لا يسلط على الظالم رجالاً طيب القلب مؤمناً.. ذلك أن اللين والرحمة وحب العفو وكظم الغيظ ومواجهة الإساءة بالإحسان، وهو ما أمرنا الله به، يقف بين العبد المؤمن وبين القصاص العادل من الظالم، ولكن الله يسلط على الظالم من هو أشد منه ظلماً، حتى يكون القصاص رهيباً.. ويأتيه الله من حيث لا يدرى ولا يحتسب.

وطلاقة القدرة لله سبحانه وتعالى هي نعمة لا تبارى على خلقه، فالله سبحانه وتعالى لا هوى له، كثنا عبده.. لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى.. ومن هنا.. فإن طلاقة القدرة تصحح المسير في الكون.. ذلك أن الله دائماً مع الضعيف ضد القوي، ومع العاجز ضد القادر، ولو لم توجد طلاقة القدرة، وبقيت الأسباب وحدها تعطى.. ملأ الفساد الأرض.. ذلك أن الذي يأخذ بالأسباب يمتلك غروراً بقدرته على خلق الله، ويأخذ حق الغير.. ويحاول أن يملك ما لا يستطيع أن يفديه أو يستخدمه طول حياته.. ومن هنا فإن قضية الحياة نفسها تفسد.. ولكن الله سبحانه وتعالى يزيل الأسباب، فيصبح القوي ضعيفاً والغنى فقيراً.. والعزيز ذليلاً.

إذن فالله سبحانه وتعالى خلق الكون، ومنح كل من في الكون رزقاً وعطاء، الكافر منهم والمؤمن.. والعطاء من الله سبحانه وتعالى لكل فرد هو ابتلاء.. سواء أكان هذا العطاء خيراً أم شراً، فأحياناً يكون ما نحسبه شراً هو خير لحياتنا من مئات الأشياء التي قد نفرح عندما نحدث.. والله سبحانه وتعالى قد أعطايانا الأسباب لتسير الحياة في

الكون، ولكنه في نفس الوقت.. بقيت طلاقة القدرة لله سبحانه وتعالى.. ذلك حتى لا ننسى الله ونعبد الأسباب.. فالكون يمضي كله بالأسباب.. ثم تأتي طلاقة القدرة في حدث من الأحداث.. لتلتفت الناس إلى أن معنى الأسباب موجود وقدر.. وأن الأسباب التي خلقها الله سبحانه وتعالى.. لا يمكن أن تكون قيادة على قدرته.. وأتنا يجب أن نلتصق في حياتنا بالله.. وليس بالأسباب التي مكن الله فيها عدداً من خلقه.. وفي هذه الحالة تذكر أن ما أجراه الله علينا على يد عبد من عباده.. إنما هو من الله أولاً، قسمه الله لنا ثم أجراه على يد هذا العبد.. فلا ننسى المatum ونعبد السبب.. ولتعلم أيضاً حينما يحيط بنا اليأس.. ونصل إلى شيء لا تستطيع الأسباب أن تجد له حل.. ونف قدراتنا عاجزة أمامه.. تذكر أن طلاقة القدرة موجودة، وفي هذه الحالة لا يدخل اليأس إلى قلوبنا أبداً، لأن قدرة الله بلا حدود ولا قيود.

وطلاقة القدرة تصحيح المسيره.. وتذكر الناس بعدم الابتعاد عن الله.. وتتدخل لننصر المظلوم على ظالم، وغير القادر على القادر وتقتص للضعيف من القوي.

والله أحد لا شريك له.. قادر على أن يفعل ما يشاء وقتما يشاء.. مقصود في كل الحوائج.. بيده الخير كله.. يستطيع أن يعطي كل إنسان حاجته، دون أن ينقص ذلك ما عند الله شيئاً.. وهو في قوله لا يستعصي عليه أحد.. مهما بلغ جاهه أو سلطاته.. ولذلك فإننا يجب ألا تخاف الدنيا كلها.. مادمتا مع الله.. وما مدتها مع الحق..

والله أحد ليس كمثله شيء.. لا شريك له.. يعلو ليكون نداً لله جل جلاله.. وكل الناس بدرجاتهم وجاهتهم في الدنيا هم عبيد الله سبحانه وتعالى.. فالكل عبد الله.. والكل آتية بعد الحياة.

وطلاقة القدرة تعطينا الشجاعة في هذا الكون لكي نواجه كل ظالم.. ونقف مع كل مظلوم.. ونأخذ جانب الحق فإذا حاول أحد أن يحيطنا بالأسباب أو ظاهر الحياة الدنيا من جاء أو سلطان أو ملك أنعم الله به على عبد من عباده.. فالنذكر أن الله

سيحانه وتعالى كما أعطي يستطيع أن يأخذ، وكما عز يستطيع أن يدل.. وأن نقف مع الحق.. ولا نغري الأسباب لأنها زائلة.

وطلاقة القدرة من روح الإيمان.. لأنها تجعلنا نؤمن بـما يستطيع الله أن يكافيء به المؤمن في الآخرة من نعم دائمة.. ما لا عين رأت.. ولا أذن سمعت.. ولا خطط على قلب يبشر.. وتدكرنا دائمًا بأن الله وحده هو القادر.. والله وحده هو الفعال.

الفصل السادس

الاستعانة بالقوات الأجنبية و موقف الإسلام منها

الذين كانوا يرددون مخاوفهم من بقاء
القوات الأجنبية في المنطقة .. أقول لهم أن
هذه القوات تسحب الآن بعد أن نجح
اختيار العقلاء والحكماء من حكام العرب
بالاستعانة بهم .

خالد محمد خالد

في هذا الفصل يتحدث خمسه من الكتاب الإسلاميين والفقهاء حول موقف الإسلام من قضية الاستعانة بالقوات الأجنبية لحماية الدول الإسلامية.

يؤكد الكاتب الكبير الأستاذ خالد محمد خالد أن الاستعانة بالقوات الأجنبية لمواجهة شرور صدام أمر واجب وهو الموقف السليم الذي اختاره الحكماء والعقلاء من الحكماء.. فيرد الأستاذ خالد محمد خالد على الجبهة المعارضة للاستعانة بالقوات الأجنبية.

ويناقش الشيخ جاد الحق على جاد الحقشيخ الأزهر هذه القضية موضحاً أن استنجاد الدول الإسلامية بالقوات والجيوش الأجنبية نتيجة حتمية ترتب على ما فعلته العراق بالكويت والتهديدات التي أطلقها صدام حسين ويقول الشيخ جاد الحق أن ما فعله صدام حسين أجهض صلاحيات الأمة العربية للنمو والتقدم.

ويعرض فضيلته لمجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة التي تتناول أحكام الإسلام في من يروع المسلمين وبخيفهم.

ويستعرض فضيلة الشيخ محمد سيد طنطاوى مفتى الديار المصرية الأحكام الثلاثة الشرعية التي يجب تطبيقها عندما تختلف فتاوان مسلمتان.

ويقول الشيخ عبد المنعم النمر وزير الأوقاف المصرى الأسبق لماذا لم يتحقق المعارضون لوجود القوات الأجنبية على حمايتها للدول العربية أيام حرب العراق مع إيران.. ويعلن الشيخ النمر الأسباب.

ويتحدث الدكتور أحمد عمر هاشم عن موقف الإسلام من اقتتال المسلمين.. ويركز على شرعية وحق الكويتين والسعوديين في الدفاع عن أرضهم وواجب كل مسلم في الدفاع عن كل شبر في أرض الإسلام.

منطقى الواضح والمستقيم فى هذه القضية - الاستعانة بقوات وجيوش أجنبية لحماية المقدسات والدفاع عن الدول العربية والإسلامية - واضح ومستقيم.. ويتمثل هذا المنطق الواضح المستقيم فى سؤال أو جهه للمعارضين والرافضين لوجود قوات وجيوش أجنبية فى الأراضى العربية.. والسؤال هو كلمه واحدة.. ما البديل ١٩

إذا قالوا : البديل جيوش عربية وإسلامية، ضحكت بهم فمى وقلت إنما الله وإنما إليه راجعون.. لاتزال عقولنا فى غيبوبة وإغماء.. أين هى الجيوش العربية والإسلامية التى توقف صدام حسين عند حده - صدام حسين الطاغيه الذى غزا بذلك صغيراً واستحوذ على كل مقدراته فى ساعات معدودات وأصر إصراراً غبياً على ألا تعود الكويت إلى شرعيتها ولا إلى استقلالها.. ثم ذهب فى طغيانه إلى حد التهديد المزهو والمخالف والمغدور بقدرته على أن يملأ منطقتنا العربية كلها بالجثث التى تسقط صرعي اسلحته الكيمائية.. فهل هناك جيوش عربية إسلامية تستطيع مواجهة هذا الطاغية ؟ لا سيما بعد ما مزق من الصف العربى خمسة رؤساء، واعتزل الساحة معهم جيوشهم وقوى الرفض فىهم ومعهم أبو عمارة، الذى شحن إلى بغداد خمسين ألف شاب ليقاتل بهم صدام خصومه ويقتل بهم رافضيه.

من الواضح جداً أنه قد تصور أنه ليس هناك قوة عربية مسلحة تستطيع أن تهز شرة واحدة من شاربه.. ولم يتبق هناك فى الحقيقة سوى واحد مناحتمالين.

الاحتمال الأول : كان ترك صدام يبعث فى أرض العرب فساداً يلتهم الكويت صباحاً وأبو ظبى مساء وبقية دول الخليج ثم يحاصر السعودية ويفرض عليها بعثاته وسلطانه.

الاحتمال الثانى : كان أن نستنجد بمن يملكون القدرة وحدهم على مواجهة كبرياته وفجوره وعدوانه.

ولقد اختار العقلاة والحكماء من حكام العرب الموقف الثاني الذي لم يكن هناك بدلاً له، ونحمد الله أنه حق نتائجه.

أما أولئك الذين يرددون مخاوفهم من بقاء القوات الأمريكية في المنطقة.. أقول لهم : لو أن أمريكا جاءت وحدها فلربما كان لهذه المخاوف ما يبررها.. لكن أن تجيء أمريكا وفرنسا وألمانيا وبريطانيا ورسل الاتحاد السوفيتي بعض قواته وكذلك كثيرون من دول أوروبا.. أن يجيء هؤلاء جمِيعاً ليحتلوا السعودية ودول الخليج.. فهذا وهم عريض.. أو هو مثالٌ يلْجأُ إليها المياهِ كون لجريمة صدام وهماهم بعد هزيمة صدام وتخريب الكويت قد بدأوا في الانسحاب.

إن وجود قوات دولية لتحمي دولٍ إسلامية عجز المسلمين عن حمايتها أمر لا أقل جائزًا.. بل واجبًا.. لأن هذا هو رأى الشريعة الإسلامية، حين يغير على المسلمين أو على بعضهم وحشٌ متسلط فيقتل أرضهم، ويتهلك أعراضهم، ويسرق أموالهم، ويقتل رجالهم وشيوخهم، ثم لا يجد هذا البلد المغار عليه قوة إسلامية كافية لإنقاذه، ووقف الطاغيه عند حده، فعندئذ يكون من حقه، بل من واجبه أن يستنصر بغير المسلمين، ويطلب عونهم وهذا ليس رأى الشريعة الإسلامية وحدها.. بل هو نداء الفطرة السوية والفهم السديد والعقل الرشيد.

وفي رأى أن الذين يتنددون بوجود القوات الدولية باطلًا أنهم في الحقيقة كانوا يريدون أن يمكنوا لصدام حسين في الأرض التي غزاها ونهبها ظلماً وعدواناً.. ولكن لأنهم أجبن من أن يأخذوا هذا الموقف جهاراً وعلناً، فقد راحوا يتوارون وراء حجة وجود قوات دولية ليخدعوا الناس وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون. وقد انتشرت الغمة وهما يحاولون تبرير مواقفهم السيئة ويطالبون بالنسفان والمصالحة العربية.

والدليل على حكم الشريعة في الذي ذكرته واضح.. وقد قاتله مراراً.. أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن فقد عمه أبي طالب وزوجته خديجة، واشتد عليه أذى قريش وطغياتها ذهب إلى الطائف يلتمس العون والحماية من كبار المشركين فيها، ولما رفضوا

أن ينتحروه هذه الحماية عاد إلى مكّه فلقي اثنين من زعمائها طلب منها أن يحميه حتى يصلح رسالة ربه.. فاعتذرلوا.. ثم التقى بثالث وهو «المعلم» وكان مشركاً وليها فطلب منه الرسول صلّى الله عليه وسلم أن يحميه من أذى قريش فقبل وامتنع سيفه ونادي أولاده أن أحملوا سيفكم وابعنوني.. وأخذ الرسول صلّى الله عليه وسلم معه إلى الكعبه ونادي زعماء قريش الحامين حولها قائلاً :

«يا معاشر قريش إني أجرت محمداً فلا يقرئه أحد بسوءه هذا رسول الله الأعظم صلّى الله عليه وسلم ومعه كل سلطان الله وحمايته وحفظه.. ومع ذلك لم يوجد بأيّاً في أن يطلب حماية المشركين».

هذا.. والامهات من كتب القصة الإسلامية تحكي لنا آراء الفقهاء وعلى رأسها الرأي الذي ذكرته.

وهناك بعد آخر خطير في قضية الرافضيين الإستعانة بالقوات والجيوش الأجنبية.. لأنهم لا يريدون للمسلمين والعرب أن يركبوا تركيزاً كاملاً على جريمة صدام ويريدون صرف الآراء وتشتيت الجهود بالبحث في قضايا فرعية.. والأفضل أن نركز تركيزاً كاملاً على الجريمة وطريقة الخروج منها.. ولو أن القوات الدولية العسكرية في أراضينا العربية استطاعت أن تقضي في ساعة من نهار على كل المهزون العراقي من الرؤوس المعبأة بالأسلحة الكيماوية.. لكونت أول من يدعو لها بالغوفرق.. إن الشر هو الشر.. والجريمة هي الجريمة.. والشرير هو الشرير.. وال مجرم هو المجرم.. وإن لم تلق الجريمة مجرمتها، والشرور وصاحبها بجسم وحرم.. فقد مهدت للباطل أن يسود.. وللحقيقة أن ينهار ويندحر.. وعلى الذي لهم رأى فيما نحن فيه أن يقولوا الحق أو يلوذوا بالصمت أما النفاق أو الخداع.. أما الكلب فلن يعني عندهم من الله شيئاً.. وما هو رأيهم اليوم فينتائج الاحتلال صدام للكويت - وقد انسحب وانكسر ولاقي من الذل والهوان ما لم يلاقاه حاكم في تاريخ البشرية ولماذا لا نسمع من يتعذر منهم بفلسطين والوحدة العربية وصدام الذي قالوا عنه أنه سيحرر القدس عن طريق الكويت !!

الفصل السابع

الجهاد لا يكون عدوانا على الجار المسلم

قد قضى الدفاع عن النفس وعن الأمة أن
سارعت جيوشها إلى الإحاطة بالباغي
حتى لا يمتد بغيه

شيخ الأزهر
جاد الحق على جاد الحق

إن الشعوب العربية الجارة للكويت فجعت بما فعله جيش العراق وترتب على هذا الاستنجاد بجيوش الدول العربية والإسلامية من الدول التي تملك الأسلحة المتمكأة.. ومع ما اعتدى به جيش العراق على الكويت.. فإنه لا ضير في الاستنجاد بمختلف الجيوش من مختلف الجنسيات.. لأن هذا قائم على مبدأ الاتفاques والمعاهدات الدولية.. ومن حقها أن تدافع عن نفسها وأن تخمي أرضها وحرماتها من هذا الشقيق الغادر الذي لم يرع عهداً ولا ذمة.

وكما حدث وقد إقتصى الدفاع عن النفس وعن الأمة أن سارعت جيوشها إلى الإحاطة بالباغي حتى لا يمتد بغيه أو يخاصره كما يحاصر الحريق.. إن الله سبحانه وتعالى قد أذن بقتال الباغي: «فقاتلوا التي تبغى حتى تنبغى إلى أمر الله».. ومع هذا فإن القوات العربية والإسلامية التي تناولت إلى معاونة ياقوت الدول التي تتعرض لشرور هذه الكارثة قد تعاونت على حصارها في محاولة لإيقافها حتى يعقل القائمون بها مدى العائد والفاقد من هذه الفعلة النكراء.. ومن احتلال لشعب عربي مسلم له حرمة الجوار بقوة عسكرية تفوق عدده وعدده والتتكيل به ولينظر هؤلاء الذي يحاولون تغيير المنطقة وتدميرها بعد أن أنتهكوا حرمه بلد وشعب.. ماذا عاد عليهم من خير بما فعلوا من منكر؟ وماذا فقدت الأمة؟ وهل يستويان؟ اللهم لا.

أما عن ادعاءات صدام حسين بأن ما فعله هو جهاد ضد القوات الأجنبية التي دنست الأرض والحرمات.. أقول له : الجهاد لا يكون بغياً ولا عدواً على الجار المسلم الشقيق.. كما أن الادعاء بأن القوات الوافدة قد دنست الأرض والحرمات ليس صحيحاً لأنها وافدة بأذن أصحاب هذه البلاد.. ولرد العدوان عنها.. وهي قوات مسلمة أو "معاهدة.. والاستعانتة بممثل هذه القوات أمر مشروع في الإسلام.. بل أن من أنس الإسلام، ومن حق المسلم على المسلم أن ينصره ويرد الظلم عنه وكل ذلك الشأن في المعاهد أيضاً.

وما فعله صدام يتطلب الاستجاد بالقوات من مختلف الجنسيات.. لقد أجهض صدام صلاحيات الأمة العربية للتقدم والنمو.. وأرقلها في مجال التهلكة التي تأتي على الأخضر واليابس الذي نزل بقدرها بين الأمم.. وأفقدتها وسائل التعاون والتراحم والمردة فيما بينها.. يندها لا يد الآخرين بأن شد ونفر من قادتها عن الطريق القويم المستقيم فاجتاحتها بذلك وشعراً آمناً مطمئناً يودي واجبه نحو أمنه في كافة الحالات، وروعوا النساء والأطفال والشيوخ في مهاجمهم في غضق الليل.. وما كان هذا صنيع المسلمين.. والرسول صلى الله عليه وسلم يحذر من تروع المسلم، فقال فيما رواه أبو داود «لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً.. وفي حديث آخر - رواه البزار وغيره - قال : «لا تروعوا المسلم فإن روعة المسلم ظلم عظيم».. وفي حديث أبي هريرة الذي رواه الطبراني : قال من نظر إلى مسلم نظرة يخيه فيها بغير حق، أخافه الله يوم القيمة.. كما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يروع المسلم بالاشارة إليه بالسلاح فقال فيما رواه الشیخان : «لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى لعل الشيطان يترع في يده فيقع في حفرة من النار».. وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة : من أشار إلى أخيه بحد يده فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهي، وإن كان أخاه لأبيه وأمه».. وفي حديث أبي مسعود فيما رواه البخاري : «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر».

فأين هذا مما أحدثه جيش العراق بالكويت من تدمير وتخريب وقتل واتهاب للثروات وانتهاك للحرمات؟

وأين هذا ما أحدثه صدام بشعب العراق وجيش العراق وأرض الكويت بعد أن حرق الزرع واليابس وأشعل النيران في خيرات البلاد، ووضع جيشه وشعبه في مأساة لن ينساها له التاريخ.

الفصل الثامن

حماية البلاد والأرواح واجب الحاكم في الدولة الإسلامية

لا يجوز شرعاً أن يأتي حاكم من دولة أخرى فيفرض بالقوة ولادته وسلطاته على غير دولته

**مفتى الديار المصرية
الشيخ محمد سيد طنطاوى**

إن حماية أمن البلاد وصيانته الأرواح والأموال من أهم الواجبات على أولياء الأمور في كل دولة إسلامية.. وهم أعلم الناس بما ينفع أنفسهم وما يضرها.. ولهؤلاء أن يستعينوا عند الضرورة - كأن تكون قوة أخوانهم المسلمين غير كافية لدحر العدوان المرتقب - بغير المسلمين.. لأن الضرورات تبيح المحظوظات.. كما أن من المقرر شرعاً أن الضرورة تقدر بقدره.

ونحن نرى أن من الأحكام الشرعية الصحيحة ما قام به علماء وقضاة المملكة العربية السعودية من تأييد لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز فيما اتخذ من إجراءات لحماية أمن المملكة ولمواجهة ما يتوقع من عدوان.

إن حكم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم في هذه الأحداث واضح وضوح الشمس لا لبس فيه ولا خفاء.. فهناك ٣ أحكام شرعية يجب تطبيقها.

الحكم الأول.. أنه على المسلمين وحكامهم أن يتدخلوا للصلح بين الفتنين المختلفتين أو المختصمتين.

الحكم الثاني.. أنه إذا بنت إحداهما على الأخرى وأصرت على عدم قبول الصلح.. فعلى المسلمين وحكامهم أن يقاتلا هذه الفتنة بأن يكلفوا جيوشهم بالقتال، وإذا لم يفعلوا ذلك كانوا معطلين لحكم الله تعالى وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم.

الحكم الثالث.. إذا رجعت الفتنة الباغية إلى الصلح يتدخل المسلمون للصلح بينهما بالعدل.

ولا يصح لدولة مسلمة بينها وبين دولة أخرى - مسلمة أو غير مسلمة - عقد أن تعتدى عليها.. وقد كان بين معاوية وبين الروم عهد.. فلما انقضى أراد أن يغير عليهم.. فإذا رجل على فرس يرفع صوته ويقول : «الله أكبر وفاء لا عداء» وإذا هو عمرو بن عيسى، فسألته معاوية : ما شأنك ؟ .. فقال : سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: من كان بينه وبين قوم عهد فلا يعلن عهداً ولا يشنده حتى يمضي أمره، أو ينذر إليهم على سواء، فلما سمع معاوية ذلك رجع بالناس.

وشرعية الله تعالى أنسنت مهمة اختيار الحاكم وتنصيبه وعزله إلى أهل الحل والعقد.. ولذا فإن شعب كل دولة هو وحده الذي يباعي هذا الحاكم.. ويختلف حوله إذا أحسن.. وينصحه إذا أخطأ.. ويعزله إذا أفسد.

وبناء على ذلك.. لا يجوز شرعاً أن يأْتَى حاكم من دولة أخرى فيفرض بالقوة الفاشمة وبالعدوان الآثم ولايته وسلطاته على غير دولته.. ويعزل حاكمها الشرعي وينصب مكانه حكاماً آخرين.

أما عن موقف بعض الفقهاء الذين تقاعسوا عن تبيين حكم الشريعة أو وقفوا إلى جانب المعتدى.. فانا ندعو كل مسؤول عن الفتوى في الدول الإسلامية إلى أن يبين حكم الله تعالى.. أما كل من يفتى بما يشم منه رائحة الاعتدار عن الظالمين فضلاً عن الدفاع عنهم.. فهم من الضالين المضللين الذين يبيعون دينهم لدنياهם.

ولقد أفتى الدين ركتنا إلى الذين ظلموا بفتواي ما أنزل الله به من سلطان.. وتستر الذين يتاجرون بالدين ويتمسحون ببردهاته والذين منهم بريء.

الفصل التاسع

باعوا أنفسهم للشيطان

صورة مقرئه بشعره لم تحصل حتى من اسرائيل
حين استولت على القدس والضفة الغربية عام
١٩٦٧

**وزير الأوقاف الأسبق
الشيخ عبد المنعم النمو**

تمسح صدام حسين بالإسلام.. ولأسف الشديد وجد مؤيدون له من العرب المسلمين.. باعوا أنفسهم للشيطان وقفروا فوق الجريمة الأصلية - الاعتداء - ورتكروا على مجيء القوات الأجنبية، ولم تأت هذه القوات إلا بعد أن رفض العراق «الحل العربي السلمي».. وكان هو السبب في مجيئها. وكان هو السبب في الدمار الكبير الذي حل بجيشه وشعبه.

وقد كانت القوات الأجنبية تخمى الدول العربية وتهزّلها أيام حرب صدام مع إيران حتى رفعت أعلامها على ناقلات البترول في الخليج لحمايتها من اعتداء إيران عليها.. ولم نسمع صوتاً من صدام ولا غيره، يحتج يومذاك كما يملأون الدنيا صراناً ووحلاً على وجودها الآن.

وبسبب هذا التناقض أن وجودها حينذاك وحمايتها لناقلات البترول لم يجد فيه مخالفة للإسلام لأنّه كان شيئاً مفيداً له ويتمشى مع هواه، أما الآن فوجودها ضدّ أهوائه، في أحلامه وزرواته في ابتلاء دول الخليج وال سعودية.

ومن الغريب العجيب أن تكلم صدام بالإسلام ولحاجاً إليه وهو الذي استباح كل حرمات الإسلام في اعتداءاته على الكويت بل وعلى شعبه فهل يمكن أن يقبل منه أو من الدين يسيرون في فلكه من المسلمين وغيرهم أن يتحدثوا عن الإسلام.. ويلجأوا إليه وهم الذين يستباحوا حرماه.

جاء رجل من أهل العراق إلى شيخهم الكبير الذي يلقى دروسه في المسجد وسأله في إهتمام عن دم البراغيث في التوب.. فهل تصح الصلاة به أو لا تصح ؟ فنظر الشيخ إليه باشمئزاز.. وقال له.. تستبيحون دم الحسين.. ثم تساؤل عن دم البراغيث.

وتمر مئات السنين حتى يأتي صدام حسين ويعيد هذه الصورة القبيحة.. فيستبيح استقلال الكويت وحريتها وأموالها وأعراضها ودماءها ثم يسأل - هو والذين معه - عن دم البراغيث.. وجود القوات الأجنبية حلال أم حرام.

كانت الديون ومشكلة الحدود بين العراق وبين الكويت من الأمور التي تحمل عادة بالمفاضلات.. وكان يمكن أن تتنازل دول البترول عن الديون كلها أو بعضها.

كل هذا كان ممكناً بالمفاضلات مالم يركب الغرور والصلف صدام حسين، فسلط قوته على شقيقه وجاره المسالمة «الكويت» واستباح لجيشه كل من فيها وما فيها فهدم البيوت والمنشآت وحطمت المراقد ونهب الأموال وقتل النفوس وهتك الأعراض وشرد العائلات مما أعاد لأذهاننا ما فعله زعماء التتار وجيوشهم بيغداد ودمشق، ثم انكسر وأنهزم وخرج من الكويت مهزوماً مدحوراً ليواصل شهرته العدوانية على شعبيه في العراق.

صورة مقرئه بشعة لم تحصل حتى من إسرائيل حين استولت على القدس والضفة الغربية سنة ١٩٦٧ لقد حدثى أيامها أخونا يوسف المعلم والذي كانت له مدارس في القدس.. فانتقل بها إلى عمان بعد النكسة.. قال لي.. إن إسرائيل خصصت مجدداً لتفتيش البيوت وحجر السيدات ودواليهم.. فكانت المجندة تفتتش بكل أدب وبرकر تفتيشها على «دولاب الملابس».. فلما لم يجد به إلا أفسر الشباب والحلبي.. قالت كنا نظن أنكم تملأون «دواييكم» بالأسلحة، كما تقتضي ظروف شعب مثلكم !! ويخرجون..

لكن صدام الفارس المغوار العربي المسلم الذي يدعى الانتساب لسيد الخلق، وأسماهم خلقاً - ومعه جنوده المغارير، ومرضى النفوس من بعض الفلسطينيين الذين كانوا أكثر من نعموا بخيرات الكويت وعطفها، فعلوا ما فعلوا بالكويتيين وسكان الكويت، ما يندى له العجین.. وتتفقرز منه النفوس، ويرفضه أصحاب كل دين حتى عباد الاوثان.. ومع ذلك يتبعج، ويتجرون فيرددون كلمات العروبة والإسلام والسلميين !! وينضم إلى ركبهم سذج المسلمين غفلة وجهلاً.. كما يقود ركبهم بعض ذوى الأهواء من رؤساء دول ورجال آخرون عناداً وطمعاً - طمع اليهيس في الجنة إن شاء الله

- «وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون» سورة الشعراء - الآية ٢٢٧ .. «ولا ترکعوا إلى
الذين ظلموا فهم سکم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنتصرون» سورة هود -
الآية ١١٣ .

ألم أقل لكم أنهم استباحوا دم الحسين ويسألون عن دم البراغيث ؟
وها هو اليوم بعد أن انهزم شر هزيمة يدیر اسلحته إلى شعبه في شمال العراق
بهدف ابادته وتدمره .. بعد أن قتل طموحات الأمة العربية في التقدم والرقي وبدد ثرواتها
الهاشمية في ذخيرة واسلحة خالبة .. لم يتحقق له إلا الدمار .

الفصل العاشر

**الذين يقاتلون دفاعاً لا ينطبق
عليهم (القاتل والمقتول في النار)**

على الجيش العراقي أن يرفع هذا الكابوس (لا طاعة لخلوق في معصية الخالق) ... وأمر طبيعي أن يدافع كل مسلم يغار على عقيدته عن أرض الحرمين الشريفين

الدكتور احمد عمر هاشم

إذا حدث القتال بين الثنيين من المسلمين أو طائفتين بغرض مسبب أو داع أو بسبب باطل تكون المواجهة بينهما ضد الشريعة الإسلامية وإذا اقتتلا فالقاتل والمقتول في النار لكن الوضع فيما نحن فيه الآن مختلف تماماً لأن الطائفة الثانية لا تنزع إلى الشر ولم تقاتل دولة الكويت بما قاتلت ولا السعودية ولا دول الخليج.. كلها لم تقاتل وتتادي بالسلام والقتال حدث من طائفة واحدة.. فإذا قاتلت الطائفة الثانية لقتال الطائفة التي بدأت بالقتال وردع عدوانها والدفاع عن نفسها لا ينطبق عليها معنى الحديث النبوى الشريف «القاتل والمقتول في النار» لأن هناك أحاديث نبوية شريفة عديدة توضح موقف من يدافع عن نفسه أو عرضه أو ماله.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (من يقاتل دون ماله فهو شهيد).. وبين في حديث آخر صلى الله عليه وسلم أن واجب الإنسان أن يدافع عن نفسه وعن عرضه وعن ماله.. وأنه حين يقتل الصائل الذى يصلوه عليه ويغى عليه ولا يعتدى عليه.. لا يكون الذى يريد ظالماً في النار.. هذا الحديث الصحيح الذى رواه الإمام مسلم فى صحيحه حين جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وقال له يا رسول الله أرأيت أن جاءنى رجل يريد أنحد مالى.. قال لا تعطه مالك.. أرأيت إن قاتلنى.. قال فأقتله.. قال : أرأيت إن قاتلنى.. قال فأنت شهيد.. قال : أرأيت إن قاتلته.. قال هو فى النار.

إذا وضعنا هذا الحديث مع حديث إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار يتضح المعنى لكن بعض الناس يقتصرون على نص واحد دون أن يجمعوا بقية النصوص ودون أن يصلوا إلى الحكم الشرعى المراد.. فا الحكم الشرعى بالنسبة لحديث إذا التقى المسلمان بسيفهما بأن كان كل منهما بااغيا ظالماً محتدياً أو مستحلاً.. ولكن إذا كانت طائفة بااغية وأخرى تريد أن ترد العدوان عن نفسها.. لو قاتلت الطائفة التى ترد العدوان عن نفسها أو قتل أحد منها فهو شهيد بنص الحديث الصحيح (رأيت إن

قتلني.. قال فآت شهيد.. قال أرأيت إن قتلته... قال هو في النار، لماذا كان في النار لأنها استحل حرمة النفس الإنسانية والوضع الراهن الآن.. دولة آمنة في مضمونها وفي استقرارها وفي وطنها.. انتقضت عليها دولة أخرى بجيشهما على حين بعثة فأكلت الأخضر واليابس، واحتلت الأرض، وروعت الآمنين، ونهبت الأموال واستباحت الحرمات وإذا كانت الآية القرآنية تقول «وإن طائفتان من المسلمين اقتلوا فاصلحوه بينهما فإن بعثت أحدهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تهوي إلى أمر الله...» سورة الحجـرات - الآية ٩ - إذا كان هذا في الطائفتين المقاتلين فما بالنا من طائفة واحدة لم تقاتل ولا تريد حتى أن تقاتل وتتادي بالسلام.. وكان هناك عدة مؤتمرات تتادي بالسلام ورأت الصدوع لكن النظام العراقي لم يرعى وقد قدم الرئيس المصري مبادره ونداء باسم السلام والإسلام والقدسات الإسلامية.. ولم يستجب النظام العراقي.. مجلس أمن وجامعة عربية ومؤتمرات إسلامية عالمية تقول هذا خطأ.. هذا باطل.. هذا لا يصح.. والنظام العراقي مستمر على بغيه.. والقرآن يقول فإن بعثت أحدهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تهوي إلى أمر الله.

إذن فالذين يقاتلون أو يعودون أنفسهم للدفاع لا ينطبق عليهم (القاتل والمقتول في النار) ولكن ينطبق عليهم (إن قتلت فآت شهيد) بنص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.. أما الذين يصررون على البغي.. فينطبق عليهم قوله صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدى كفارة بضرب بعضكم رقاب بعض.. فقد ضرب العراق رقاب الكويت وأراد بتحريض قواته على حدود أرض الحرمين الشريفين السعودية أن يفجر المنطقة وأن يشعلها ناراً.

والرسول صلى الله عليه وسلم حين يبين لنا ذلك فهو أيضا ينبه أولئك الذين يشانعون الطالمين أولئك الذين يسيرون في ركاب هذا العدوان العاشم ويريدون أن يبرروه أو يناصروه.. إما تحسبا له.. وإما خوفا منه.. وإنما سيرا في ركبـه.. الرسول يحذر هؤلاء

الذين يأتون هذا الصنيع.. ويقول صلی الله علیه وسلم «من أعن ظالماً على قتل مؤمن ولو بشرط كلمة جاء يوم القيمة وبين عينيه آيسر من رحمة الله».

هذا تحذير وتهديد ووعيد لكن الذين يشادعون النظام العراقي الغاشم وهذا المدار حق يدعى المتصرين بالحق أن ي Shawiha إلی رشدhem.. أن يقولوا إلی ربهم.. أن يوروا إلی صوابهم.

أما من يقاتل من جنود الجيش العراقي وهو مجرم ومقهور ومغلوب على أمره... كما قرأنا وسمعنا أن من يخالف الأوامر يقتل ويضرب بالنار.. ولكن ليس معنى هذا أن يسكتوا على الظلم.. وليس معنى هذا أن يقرروا الظلم والعدوان وارتكاب الجرائم.. وقتل المسلمين ٨ سنوات.. وكان الجيش العراقي تخصص في قتال المسلمين وحدهم ثماني سنوات يقتل المسلمين في إيران.. ثم ها هو يقاتل المسلمين في الكويت ويصرخ بالخليج.. كأنه تخصص في قتال المسلمين.. ولم يقاتل عدوا متربصا.. ولم يدافع عن أقليات إسلامية.. ولم يدافع عن قضايا العروبة والإسلام.

لذلك نقول كلمة الحق.. إن على الجيش العراقي أن يرفع هذا الكابوس.. (لا

طاعة للخلق في معصية الخالق).

وعن القوات التي حشدت في المملكة العربية السعودية. فهذا أمر طبيعي.. أمر طبيعي أن يدافع الإنسان عن ماله.. وعن أرضه.. وعن عرضه.. وعن وطنه.. وكل مسلم يغار على عقيدته لابد أن يدافع عن أرض الحرمين الشريفين.. وكل مسلم يغار على عقيدته لابد أن يدافع عن أرض الإسلام والعروبة.. كلنا نعلم جبريل عندما حضرت عين زرم قال جبريل يومها لا تخافوا الضياع فإن هنا يبتا سينيه هذا الغلام وأبوه وإن الله لنا يضيع أهله وقوله صلی الله علیه وسلم من أخاف أهل المدينة ظالماً لهم أخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

من أجل ذلك نقول : الحق بجانب أهل الكويت ومصر ودول الخليج.. والباطل كل الباطل والظلم في صفات النظام العراقي.

المحتويات

٩	الناشر.....
١١	المقدمة.....
٤١	الفصل الأول.....
٦١	الفصل الثاني.....
٧٥	الفصل الثالث.....
٨٥	الفصل الرابع.....
٩٧	الفصل الخامس.....
١٢٣	الفصل السادس.....
١٣١	الفصل السابع.....
١٣٥	الفصل الثامن.....
١٣٩	الفصل التاسع.....
١٤٥	الفصل العاشر.....
١٥٢	صدر عن الدار المصرية.....
١٥٥	يصدر عن الدار المصرية.....

صدر عن



الطاد المصرية للنشر والتوزيع

- ١- من فيض الرحمن في معجزة القرآن الشيخ الشعراوى
- ٢- من قتل السادات (طبعة رابعة) أ. حسني أبو اليزيد
- ٣- أسرار محاكمة قتلة السادات (طبعة ثانية) أ. حسني أبو اليزيد
- ٤- كنت جاسوساً في إسرائيل .. (رأفت الهجان) ... خارج مصر أ. صالح مرسي
- ٥- يا سليمان السلام (طبعةثالثة) أ. حسني أبو اليزيد
- ٦- مارادونا (طبعة ثانية) أ. نادر شريف
- ٧- الحفار (خارج مصر) أ. صالح مرسي
- ٨- إعترافات جيهان السادات (طبعةثالثة) أ. حسني أبو اليزيد
- ٩- رفيق السفر للأجانب والعرب (طبعة رابعة) د. محمود بهنسى

- ١٠ - مذكرات الشيخ كشك (خارج مصر)
الشيخ عبد الحميد كشك

١١ - كيف تتغلب على التوتر (كتاب + كاسيت) د. خليل فاضل

١٢ - كنت هناك احداث عدن (طبعة ثالثة) أ. ديفيد جارودي

١٣ - فتاوى الشيخ كشك ... (ثمانية أجزاء) (خارج مصر)
الشيخ عبد الحميد كشك

١٤ - هذا هو الإسلام (خارج مصر) الشيخ الشعراوي

١٥ - كيف تتوقف عن التدخين (كتاب + كاسيت) د. خليل فاضل

١٦ - الطب والجنس د. مدحت عزيز شوقي

١٧ - الحب طفلنا الضال أ. عائشة أبو النور

١٨ - كيف تقوى ذاكرتك وتجح في الاختيار (كتاب + كاسيت) د. خليل فاضل

١٩ - الوجه الآخر لرأفت الهجان (طبعة أولى) أ. حسني أبو اليزيد

٢٠ - الطب النبوى الشيخ ابراهيم الجوزية

-
-
- ٢١ - مذَكَرات نانسي ريجان نانسي ريجان
- د. محمد بهنسى
- ٢٢ - المجتمع المثالي كما تنظمه سورة النساء د. محمد مدنى
- ٢٣ - سِيْكُولُوْجِيَّةِ الْجَنْس د. مدحت عزيز شوقي
- ٢٤ - اغتيال الكويت (طبعة ثانية) أ. أيمن نور
- ٢٥ - صدام في المصيدة أ. وحيد غازى
- ٢٦ - الحرب الكيماوية الوقاية والعلاج د. فاروق محمد الباز
- ٢٧ - كاريكاتير المشاهير في أزمة الخليج أ. عبد الله أحمد عبد الله
- ٢٨ - أسرار عاصفة الصحراء أ. مجدى شندى
- ٢٩ - أسرار اسلحة الدمار في حرب الخليج أ. مصطفى أمين أحمد
أ. عادل القاضى
- ٣٠ - آراء الشيخ الشعراوى فى حرب الخليج
الشيخ محمد متولى الشعراوى

قريباً في المكتبات العربية والعالمية



الملف السرى
لرأفت الهجان

الكاتب الصحفى حسنى أبو اليزيد
يفتح الملف السرى لرفعت
الجمال الشهير
بـ «رأفت الهجان»
من داخل إسرائيل ومصر وألمانيا

* * *



مذكرات
ضابط

مخابرات
سوداني

* * *



رفيق السفر إلى أمريكا
دليل المسافر إلى الولايات
المتحدة الأمريكية

أول كتاب يصاحبك دون مرشد

رفيق السفر إلى لندن



صحفي وراء الشمس
رائعة الكاتب الصحفي
رائد عطار
حكايات ما وراء خفافيا
التجسس في مصر

* * * * *



كتاب
الف ساعة مع صدام
نحت الأرض

مراسل صحفي أمريكي شهير
عايش عن قرب صدام حسين
أيام القتال ساعة بساعة
أول كتاب يترجم بالعربية
وينشر قبل طبعته الانجليزية والفرنسية والألمانية
بالتعاون مع دار وينجريبوك الأمريكية

**أشهر الدوارات الديموقراطية
في تاريخ البشرية**

* * * * *

**الطرق العلمية
في استخدام الحبة السوداء**

* * * * *

الرضاعة الطبيعية والصناعية

* * * * *

الغذاء والجنس

الناشر



الوكيل في مصر

الدار المصرية للنشر والاعلام

القاهرة - ص ب - ١٢٩ - هيلينوبوليس
٢٦١٥٧٤٤ - فاكس ٢٦١٥٧٤٤ (٢٠٢)

جمع تصويرى : مكتب ستاليون للتدريب والخدمات
١ شارع اشمون - مصر الجديدة
ت : ٢٩٠٧١٠٢ - فاكس ٦٦٧٨٦٣ (٢٠٢)

الإشراف والمتابعة
مهندس / حازم الأشهب

رقم الإيداع

١٩٩١ / ٣٨٣٣



الطبعة الجديدة

غياب الإسلام هو الذي اشعل تلك الثورات ويجب أن نعرف أولاً أن المعركة بين حق وحق لا توجد، فالمعركة دائمًا بين حق وباطل، وهذه لا تطول، ولكن الذي يطول هو المعركة بين باطل وباطل، لأن أحداً منهما ليس جديراً بأن ينصره الله.

الشيخ محمد مرتضى الشعراوى

الكتاب العالمي



*alkitab
al-alam*

To: www.al-mostafa.com